كوابيس الظلام

عنـــوان الكتـــاب: كـــــــــوابيس الظـــــــــلام
نـــــوع العمـــــل: مجموعـــــــــة قصصـــــــــية
التـأليـــــــــف: الســـــــــيد الـــــــــريس
مراجعـــة لغويـــة: ياســـــــــــر عبـــــــــــد الله
الإخـــراج الفنـــيّ: سـالم عبـد المعـز سـواح (عمـرو سـواح)
غـــــــــــلاف: صـــــــــــابرين محمـــــــــــد
رقـــم الإيـــداع: 2021/25021
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-6899-10-0

كوابيس الظلام

مجموعة قصصية

السيد الريس

إبهار

إلى روح والدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أول مَن علمني القراءة

إلى والدتي مَن شجعني على القراءة.

أختي وبناتها الأعزاء.

زوجتي وأولادي الأحباب.

زملائي وأصدقائي وكل من قرأ لي حرفًا.

*****

الحياة ممتلئة بالكوابيس

ممتلئة بالألغاز والغموض الذي لم يسبر أغواره بعد.

كل لحظة في الحياة يمكن أن تنقلب في ثانية لكابوس.

قد تتحطم حياتك، وتنتهي سعادتك، وتتحول من النقيض للنقيض في لمح البصر.

يمكن أن تتحول من المجني عليه إلى الجاني أو العكس.

لا تعلم ما يخبئه لك القدر غدًا أو حتى بعد ثوانٍ قليلة.

من المتحكم في حياتك إلى شخص ينتظر مصيره الذي يتحكم به الآخرون.

من النجاح للفشل.

من القمة إلى القاع.

كانت هذه دومًا مخاوفي والكوابيس التي تطاردني.

لم أخف يومًا الأشباح أو الموتى الأحياء.

لكن أرى أن الأكثر رعبًا أن تستيقظ لتجد نفسك شخصًا آخر.

أو أن تستيقظ لتجد نفسك قد فقدت كل ما تملك أو كل من تحب.

أو أنك مُحتَجَز في مكان ما وسط بضعة من الغرباء الممتلئين

بالشرور.

أو أن تقودك قدماك للمنزل الوحيد الذي يملكه قاتل متسلسل ينتظرك لتكون ضحيته القادمة.

أو أن تكون ضحية تجربة علمية يجريها حفنة من العلماء المجانين.

أو أن تكتشف أنك لم يعد لديك في هذه الحياة سوى بضعة أيام معدودات.

كل منا لديه مخاوفه

والتي تُعَد كوابيسه

كوابيس الظلام.

الكابوس الأول

القضية

يا لها من جريمة.

كانت تلك هي الكلمات التي ترددت في ذهني، قبل أن يلفظها لساني لا إراديًا وأنا أطالع ملف تلك القضية في مكتبي في إدارة البحث الجنائي.

أنا الرائد أحمد حجازي، وكان هذا أسبوعي الثاني في العمل بإدارتي الجديدة، بعد أن قضيت ثلاث سنوات بالعمل بإدارة مكافحة السرقة، كان العمل بإدارتي الجديدة بطيئًا حتى الآن، ولم تسند لي أي قضايا بعد، فقررت بدافع الملل والفضول ورغبة مني في تنشيط ذهني أن أبحث في الأرشيف عن القضايا التي لم تُغلَق لسبب أو لآخر أو قُيِّدَت ضد مجهول، ولم يُستَدَل فيها على الفاعل حتى الآن حتى وجدت ضالتي، وعثرت على ملف القضية التي بحثت عنها طويلًا، كان الملف مذيلًا بعبارة سري للغاية، كانت هذه القضية على حسب ما أذكر قد حدثت في أواخر التسعينيات، وقد مضى على وقوعها ما يزيد عن العشرين عامًا.

جلست خلف مكتبي وأنا أتراجع بالكرسي للخلف قليلًا، وأحاول أن أتخذ أكثر وضعية مريحة لرقبتي المسكينة، وبدأت في تصفح بعض أوراقها، وسأحاول أن أنقل لكم بعض ما ورد فيها دون أن أخترق بندًا سريًا للغاية، ودون ذكر أي أسماء أو معلومات شخصية عن الضحايا، ودون هذا سأحاول أن أنقل لكم ما ذُكِر نصًا دون أي تعديلات أو تنقيحات من قبلي:

تقرير الطب الشرعي لضحايا القضية رقم... لسنة...

بعد توقيع الكشف الطبي الكامل وإجراء عملية التشريح لبقايا حادثة عَقَّار، وُجِد الآتي:

١ - رؤوس الضحايا مفصولة عن أجسادهم بأداة حادة وبعملية جراحية دقيقة ومهارة فائقة لا تتوافر إلا لعدد قليل من الجراحين.

٢ - عند فحص الرؤوس وُجِد أن جميعها فارغة من الداخل وقد أُفرِغَت رؤوس الضحايا من أمخاخها بوسيلة ما لا ندري كنهها، دون أن تُحَطَّم الرؤوس.

٣ - لم يُعثَر على الأمخاخ المفقودة في موقع الجريمة.

٤ - بفحص الأجساد وُجِد أن أجساد الضحايا لم تتعرض للانتهاك أو التنكيل بأي شكل من الأشكال، ولا توجد بها آثار تقييد أو تعذيب أو جروح أو حروق سوى حروق من الدرجة الأولى موجودة على رؤوس أصابع أيديهم فقط.

٥ - بفحص دم الضحايا وُجِد عدم احتوائها على أي مواد مخدرة أو مهدئة أو مهلوسة لهذا فمن المرجح أن عملية فصل الرؤوس قد تمت للضحايا وهم أحياء وفي كامل يقظتهم.

٦ - لا توجد أي أعضاء أخرى مفقودة من أجساد الضحايا.

وبناءً على هذا، أودِعوا بثلاجة المشرحة لحين صدور التقرير النهائي وتصريح النيابة لدفنهم.

مع جزيل الشكر والاحترام.

فريق الأطباء الشرعيين المكلف بالقضية رقم... لسنة...

كان هناك تقرير آخر مكتوب بخط يد المحقق المكلف بهذه القضية، كنت على وشك قراءته، عندما قاطعتني طرقات هادئة على باب غرفتي، فاعتدلت في مجلسي وأنا أقول بصوت حاولت أن أنفض عنه آثار الاسترخاء:

- ادخل.

كان الطارق عسكري الخدمة، طلبت منه قدحًا من القهوة السادة كما اعتدت شربها، قبل أن أعاود مطالعة الملف الخاص بالقضية من جديد.

كان هناك تقرير آخر مكتوب بخط اليد للمحقق المكلف بهذه القضية، سأنقله لكم نصًا دون أي تعديلات أو تنقيحات من قبلي.

التقرير النهائي لقضية رقم... لسنة ١٩٩٩

كانت هذه قضيتي الأخيرة التي كُلِّفت بالتحقيق فيها في شهوري الأخيرة من الخدمة وقبل خروجي للمعاش.

كنت أنا قائد فريق التحقيق المُوَكَّل بهذه القضية المكون من فريق من الظباط من عدة قطاعات، كانت هذه القضية كابوسًا لنا جميعًا كابوسًا بحق وأصعب القضايا التي واجهتني وأكثرها غموضًا منذ بدء عملي في أواخر السبعينات وذلك لعدة أسباب سأحاول سردها في نقاط سريعة:

١ - عدد الضحايا الكبير نسبيًا والذي وصل لثلاثة عشر فردًا من أعمار مختلفة، كان أكبرهم سنًا أربعة وسبعين عامًا وأصغرهم أحد عشر شهرًا فقط لا غير، تجمعوا معًا في مكان واحد في المبنى السكني

القائم في العنوان، دون أن نجد أي صلة تربط أحدهم بالآخر.

٢ - أسلوب القتل البشع الذي تعرض له الضحايا وبأسلوب جراحي غاية في الدقة مما جعلنا نشتبه في أن القاتل جراح أو على أقل تقدير لديه خلفية طبية كما يرجح تقرير الطب الشرعي.

٣ - أثبت تقرير الطب الشرعي أن جميع الضحايا كانوا في كامل يقظتهم ووعيهم، عندما فُصِلَت رؤوسهم.

٤ - أثبت تقرير الطب الشرعي أن الضحايا قُتِلوا جميعًا في الوقت نفسه تقريبًا أو بفاصل زمني ضئيل للغاية مما يرجح أن القاتل ليس شخصًا واحدًا بل مجموعة من الأشخاص.

٥ - أثبتت تحقيقات فريق التحقيق الجنائي وملاحظاته أن أجساد الضحايا الثلاثة عشر مرصوصة بشكل دائري يشبه الشمس بآشعتها.

٦ - الجريمة تميل إلى الطابع الطقائسي الوثني أو التضحية بقرابين بشرية، وهذا ما لم نعتده في مجتمعنا.

٧ - تاريخ وقوع الجريمة ٩-٩- ١٩٩٩ عند منتصف الليل والذي قد يكون وراءه مغزى ما.

وهذا وبعد ثلاثة شهور من التحقيقات واستجواب الشهود الذين لم يروا أو يسمعوا شيئًا، رغم وقوع الجريمة في مكان مأهول بالسكان وبعد استجواب المشتبه بهم والذين لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، أعلن أنا قائد فريق التحقيق الجنائي عدم توصلنا لأي مشتبه به أو أي مبرر أو تفسير لهذه القضية ولا

الملابسات والأحداث الغامضة المصاحبة لها، فلهذا قيدت هذه القضية ضد مجهول، وستُحفَظ في أرشيف الجرائم غير المحلولة لعل الأيام تكشف لغزها، وتسبر أغوارها.

اعتدلت في الكرسي الخاص بي بعد إنهائي معرفة التقرير السابق، وأنا أذدرد لعابي في توتر، وأرتشف آخر قطرات القهوة في فنجاني، نظرت في ساعتي، فوجدتها قد تجاوزت منتصف الليل ببضع دقائق في يوم... فحدقت في الساعة لبضع ثوانٍ، ورأسي بدأت تتكون فيها أفكار مخيفة، قبل أن أنفضها عنها، وأتراجع برأسي محاولًا أن أسترخي، وأن أستمتع بدخان سيجارتي.

ودون أن أشعر، تسرب النعاس الجميل إلى عقلي ليخيم كالضباب عليه.

وأدخل في عالم الأحلام أو الكوابيس.

######

رن جرس هاتف مكتبي، فاستيقظت مفزوعًا، قبل أن أعتدل على كرسي المكتب، وألتقط سماعة الهاتف وأنا أتساءل بصوت أجش من أثر النوم:

- من معي؟

جاوبني من على الجانب الآخر صوت زميلي معتز وهو يتكلم سريعًا، ليخبرني أن هناك جريمة قتل قد حدثت في نطاق دائرتنا، ويجب علينا الذهاب فورًا للتحقق من الأمر.

نظرت إلى الساعة على الحائط المقابل لي، كانت قد أصبحت الثانية بعد منتصف الليل.

فأغلقت سماعة الهاتف، والتقطت سترتي من على الشماعة، وتأكدت أن مسدسي من طراز سميث موجود في غمده المثبت في حزامي كالعادة.

تقابلنا أنا ومعتز أسفل المبنى، كان يكبرني بسنة واحدة فقط، ويسبقني في العمل بالإدارة ببضعة شهور، كانت تصاحبنا قوة مكونة من ستة عساكر في السيارة التي تتبعنا، وتحركنا على الفور لمكان الحادث.

التفتت إلى معتز الذي كان صامتًا على غير عادته وأنا أسأله في توتر:

- هل هناك أي تفاصيل عن الحادث؟

فنظر إلى معتز بنظرة ذات مغزى قبل أن يقول:

- هناك شخص مجهول أبلغ عن حدوث جريمة قتل بشعة في

هذا العنوان، قبل أن يناولني ورقة صغيرة مكتوبة بخط يد منمق وفيها عبارة واحدة: إن الأمر يحدث من جديد، النجدة سيقتلنا جميعًا، وأسفلها العنوان.

اتسعت عيناي في دهشة حتى كادتا أن يغادرا محجريهما من الدهشة وأنا أتذكر هذا العنوان، يا ربي، إنه العنوان نفسه الذي حدثت فيه الجريمة الغامضة التي كنت أتصفح أوراقها منذ قليل.

هل هذا معقول؟ هل هي مصادفة، أم أن قدري يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه القضية.

لم تمض سوى بضع دقائق حتى توقفنا عند العنوان المذكور، كنا أمام فيلا مكونة من دورين – إن لم تخني ذاكرتي، كانت توجد عمارة هنا حيث حدثت سلسلة الجرائم السابقة منذ ما يزيد عن العشرين عامًا.

كانت بوابتها مغلقة بجنزير من الحديد، ويغلفها الصمت والظلام من كل صوب.

التفتت إلى السائق المصاحب لي وأنا أأمره قائلًا:

- اضغط نفير السيارة بضع مرات، من المفترض أن يكون هناك شخص ما زال حيًا، هو مَن أبلغنا بحدوث الجريمة.

وبعد بضع دقائق من صوت النفير المتواصل، وبعد أن كدنا أن نيأس، ونستعد لاقتحام المكان، ظهر لنا شبح شخص قادم من بعيد، كان يبدو على وجهه آثار الذهول، أمرته بصرامة أن يفتح البوابة وأنا أظهر له هويتي، قبل أن تدخل السيارتان من البوابة

ليقطعا الحديقة في سرعة، قبل أن يتوقفا أمام المنزل الصامت، كان الحارس يهرول خلفنا، قبل أن يتوقف أمامنا لاهثًا وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، كان وجهه شاحبًا بشدة وهو يقول بتوتر:

- في إيه يا باشا، خير إن شاء الله؟

نظرت له لبضع ثوان والقوة المصاحبة لي تغادر البوكس، قبل أن أقول له:

- من الذي يقيم هنا؟

قال في سرعة:

- إنها فيلا اللواء... ويقيم بها منذ عدة سنوات.

تراجعت للخلف بمجرد سماعي للاسم. يا رباه، إنه ضابط التحقيق الذي كان مسؤولًا عن التحقيق في تلك القضية الملعونة، هل من الممكن أن تكون كل هذه مجرد مصادفات، قطع تسلسل أفكاري صوت زميلي معتز متسائلًا:

- هل هو موجود بالداخل الآن؟

قبل أن يجاوبنا الحارس، أطل علينا شخص من شرفة الدور الثاني، مهيب الطلعة، طويل القامة وهو يقول بصوت قوٍ لشخص اعتاد إلقاء الأوامر:

- ماذا هناك، ومن أنتم؟

قلت بسرعة بصوت عالٍ:

- نحن قوة من مركز الشرطة، أرجو أن تسمح لنا بالدخول لأمر

مهم وعاجل.

نظر إلينا المهيب لبضع لحظات، قبل أن يقول بصوت شعرت فيه بنبرة سخرية ما:

- ولِمَ لا، ما الضرر الذي يمكن أن يحدث.

قبل أن يكمل قائلًا:

- سأسمح للضباط فقط بالدخول.

قالها قبل أن يدور على عقبيه، ويختفي من الشرفة لداخل المنزل سريعًا، أشرت لأمين الشرطة المصاحب لنا أن ينتظر هو والعساكر بالخارج، قبل أن أدلف للمنزل أنا ومعتز خلف الحارس الذي كان يتقدمنا.

كان هناك ضوء خافت قادم من بعيد يجعل الرؤية ممكنة لحد ما، كان المكان كئيبًا ومقبضًا سوداويًا، وشممت رائحة غريبة في الجو قريبة من رائحة الكبريت أو النحاس المحترق.

وفجأة، وجدت المهيب أمامي، كان يرتدي روب منزليًا متوسط الطول على بنطلون وقميص، وعندما اقترب منا، واتضحت ملامحه بصورة أوضح، كان وجهه ممتلئًا بالتجاعيد والبثور المتقيحة الغريبة كأنه قد تجاوز المائة عام أو يزيد.

قال معتز مستفسرًا:

- ألا يمكننا زيادة الإضاءة أكثر من هذا؟

قال المهيب بصوته العميق كأنه قادم من أعماق مقبرة عتيقة:

- أتأسف أيها السادة على بشاعة منظري. إنني أعاني مرضًا جلديًا نادرًا وغريبًا، ولا يمكنني التعرض لإضاءة شديدة بشكل مباشر، قبل أن يكمل متسائلًا:

- والآن هل يمكنني معرفة ماذا يحدث هنا؟

تنحنح معتز وهو يحاول أن يرتب الكلمات في عقله، قبل أن يلفظها لسانه، لكن يبدو أن نظرات ذلك المهيب الحادة قد أثرت فيه، فخرجت كلماته مهزوزة غير مرتبة وهو يقول في خفوت:

- لقد وصلنا بلاغ بحدوث جريمة قتل هنا منذ قليل.

نظر لنا بضع ثوان وهو يبتسم في سخرية ولم يبدُ عليه أي نوع من أنواع الاندهاش، قبل أن يقول بهدوء:

- لا أظن ذلك، إنها بالتأكيد مجرد مزحة سخيفة من شخص سخيف ما.

- على كل حال، نحن يجب أن نتحقق من هذا البلاغ.

- وهل لديك أمر قضائي بالتفتيش لتفعل هذا.

تدخلت في الحديث قائلًا:

- سيدي، إنك رجل قانون وزميل سابق، نتمنى أن تكون أكثر تساهلًا معنا، وتسمح لنا بممارسة عملنا.

صمت لبضع ثوان حتى ظننت أنه سيرفض، قبل أن يقول بهدوء:

- حسنًا، لا مانع، اتفضلوا يمكنكم ذلك.

قال معتز في حذر:

- هل هناك أي أحد آخر غيركم موجود معنا الآن؟

قال المهيب بهدوء:

- لا، لا يوجد أحد آخر، نحن الأربعة فقط لا غير.

لمحت بطرف عيني أن الحارس والمهيب قد تبادلا نظرة سريعة ذات مغزى، قبل أن أقول متسائلًا:

- من أين سنبدأ التفتيش؟

قال المهيب وهو يتحرك أمامنا ببطء نحو جهة ما:

لماذا لا تبدأا رحلتكما من القبو. إذا كان هناك جريمة قتل قد حدثت، فمن المنطقي أن يكون أنسب مكان لذلك هو القبو.

حديثه أشعرني بالقلق، وتبادلت أنا ومعتز النظرات القلقة الحذرة، لكن واجبي وفضولي كان يدفعني لمعرفة المزيد.

ما الضرر الذي يمكن أن يحدث من عجوزين مثلهما، ونحن الاثنان مسلحان والرجال ينتظرونا بالخارج.

كنا ننزل إلى القبو بهدوء والعجوز يتقدمنا،

وكانت الرائحة الغريبة تتصاعد بقوة.

وقلقي يتصاعد معها.

######

خطوات أقدامنا تتصاعد في أثناء نزولنا كدقات الطبول استعدادًا للحرب.

ودقات قلبي تتزايد معها.

موكب صغير يسير ببطء لمصيره المحتوم.

حتى وصلنا إلى منتصف القبو، كانت الرطوبة تنتشر في حوائطه، وتتشعب في كل مكان به، رائحة العطن تزكم الأنوف، وخيوط العناكب تنتشر في أركانه.

كان يبدو كما أنه لم تخطه قدم إنسان منذ عشر سنوات على الأقل.

التفت إلينا المهيب وهو يقول بصوته العميق:

- كما ترى أيها الرائد، لا يوجد شيء هنا يا للخسارة.

كانت عيناي تجوبان في الأرجاء بحثًا عن أي شيء مريب أو مثير للفضول، قبل أن يقاطعني المهيب مرة أخرى، لكن صوته هذه المرة كان أكثر تهالكًا، بل أكاد أجزم أنه أصبح مختلفًا. نظر لعينيّ مباشرة وقال:

- أتعلم أيها الرائد أن كل شيء الآن يذكرني بقضية قديمة، كانت آخر قضاياي، ولم أصل فيها إلى الجاني قط، أظن أنك قد قرأت ملف هذه القضية. أليس كذلك؟

قال معتز في توتر:

- أي قضية تقصد أيها العجوز؟

بينما قلت أنا وقد تزايد عندي الإحساس بالخطر والريبة:

- كيف عرفت أني قرأت ملف هذه القضية اليوم؟

قال المهيب وقد زادت نبرة السخرية في صوته:

- سأخبرك أيها الرائد قصة قديمة بعض الشيء، وربما تصدقها وربما لا، هناك أسطورة مثل غيرها من مئات الأساطير تتناقل عبر العصور والأجيال أن هناك كيان غير أرضي يعيش على الأرض منذ ملايين السنين، هذا الكيان وصل إلى الأرض مع نيزك ما وسط مئات النيازك التي عبرت الغلاف الجوي، ووصلت للأرض، ولا أحد يعلم لماذا لم يهلك أو يحترق مثل غيره. ربما لأنه أقرب للفطريات أو الكائنات المتطفلة ولديه قدرة هائلة على التحوصل في الظروف غير الملائمة، أو ربما لأنه سقط في سيبيريا أو القطب الشمالي في درجة حرارة تحت الصفر كما في كوكبه، المهم أن هذا الكائن ظل كامنًا عدة سنوات، قبل أن تتاح له ظروف مناسبة، ويتمكن من السيطرة على أول كائن حي.

مجرد حيوان صغير، استخدمه بوصفه وسيلة للحركة والتنقل ومصدر للغذاء، وأخذ يتنقل من حيوان لآخر كل بضعة أسابيع، لأنه اكتشف أن أجساد هذه الحيوانات تضعف وتفنى بعد فترة من التطفل على أجسادها والاستقرار في أمخاخهم والتغذي عليها، لأن هذا مصدر الغذاء الوحيد الذي يبقيه حيًا، قبل أن يبدأ في التطور والتطفل على أجساد البشر الذين كانت أجسادهم أكثر تطورًا وأمخاخهم مليئة بالطاقة، ومنحته إمكانات غير محدودة ولانهائية،

بل نستطيع القول إنه استطاع إخراج الطاقات الكامنة بداخلهم واكتسابهم لقدرات غير طبيعية وخارقة.

حتى أنه في بعض العصور والأزمنة السحيقة كان السبب في العديد من الظواهر غير المفسرة واللاطبيعية والتي نُسِبَت للسحر الأسود والأمراض العقلية.

وكان من يحتل أجسادهم، يصبح لديهم القدرة على التخاطر العقلي أو تحريك الأشياء عن بُعد أو التحكم في الآخرين.

وفي عصور أخرى، احتل أجساد العديد من القادة والرؤساء الذين أصابهم جنون غير مُبَرَّر، أو تعرضوا لوفيات مفاجئة، وكان السبب وراء العديد من الحروب والمجازر التي يشيب لهولها الولدان في تاريخ الأرض.

قاطعه معتز قائلًا في حدة:

- نحن لسنا هنا للاستماع لهرائك أيها العجوز الخرف.

فاستدار له المهيب وقد تغيرت ملامحه فجأة لتصبح أكثر شيطانية، وتحول صوته مرة أخرى لذلك الصوت الذي يبدو كأنه يخرج من أعماق بئر سحيقة، وأقسم أني رأيت عينيه تشتعلان كما لو كانت فيهما نيران متأججة قبل أن يشير بإحدى يديه ناحية معتز الذي صرخ في ألم، قبل أن يسقط فاقد الوعي والمهيب يقول في غضب:

- لا تقاطعني مجددًا أيها البشري الحقير.

حاولت أن أتحرك أو أن أستل سلاحي من غمده، لكني لم أستطع كأنني كنت مثبتًا إلى الأرض، حاولت أن أتحدث، فلم أتمكن كأن هناك قوة غير طبيعية تمنعني من هذا.

تراجع المهيب بضع خطوات كما لو أنه يعاني ألمًا ما أو يصارع قوة خفية لا يراها سواه، قبل أن يستند على كرسي، ويجلس عليه وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، ثم تتغير ملامحه تدريجيًا لتصبح أكثر هدوءًا، ويتحدث بصوت ضعيف قائلًا:

- لا وقت أمامنا، إنه كيان أسود مظلم شرير، يتغذى على أجساد البشر وفصوص أمخاخهم، وينمي بداخلهم كل المشاعر السلبية من كره وشر وقتل وسفك لدماء الأبرياء.

لقد أصبح لديه العديد من التابعين عن طريق تحكمه العقلي بهم، ليصبح المتحكم الأوحد فيهم، ويلغي إرادتهم الحرة تمامًا، هؤلاء الأتباع كانوا ينفذون أوامره، ويقتلون من أجله، ويقيمون المذابح ويوفرون أمخاخ الضحايا الطازجة له حتى يستطيع الحفاظ على الجسد الذي يحتله لأطول وقت ممكن، لأنه مع مر السنوات أصبح انتقاله من جسد لآخر عملية بالغة الصعوبة ومهلكة لطاقته حتى أنه كاد أن يُفنى أكثر من مرة خلال عملية الانتقال في السنوات الأخيرة، ألا تكفي البشرية الشرور الموجودة في نفوسها والشيطان الرجيم الذي يوسوس لهم بكل الشرور حتى يأتي لنا هذا المخلوق الملعون ليزيد سفك الدماء والشرور.

توقف عن الحديث لبضع لحظات وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه، قبل أن يكمل قائلًا:

- أنت الآن تظنني مجرد عجوز خرف، وعقلك يبحث عن تفسير منطقي وعلمي لما حدث مع زميلك منذ بضع دقائق، وأن حديثي مجرد هراء، أنا أيضًا كنت لأظن هذا لو كنت بموضعك، لكن الآن أنا واثق من حديثي هذا، بعد احتلال هذا الكيان لجسدي لأكثر من عشرين عامًا.

عشرون عامًا وأنا أسفك الدماء وأنا لا أملك السيطرة على جسدي، والآن كما ترى أمامك، فجسدي يتحلل ببطء، ولم يعد قادرًا على الاحتمال، وأوشك على الانهيار، ذلك الكائن الملعون تغذى عليه بالفعل، في تلك الليلة سنة ١٩٩٩ كان ذلك الكائن يمر بمرحلة ضعف نادرة مرتبطة بظاهرة كونية ومرور مذنب ما في أجواء كوكب الأرض، وكان هو يستعد لمغادرة جسد المضيف السابق واحتلال جسد مضيف جديد، وأعوانه يعدوا العدة لهذا، لكن الوقت لم يسعفهم، وفشلت العملية، وتحوصل هو على نفسه، وكان أمامه ساعات معدودة، قبل أن يموت ويفنى، وتتخلص البشرية من شروره، وعندما وصلت أنا إلى مسرح الجريمة، تمكن من احتلال جسدي والسيطرة على عقلي بوسيلة ما، وها أنا أعيش في هذا الكابوس منذ عشرين عامًا، لكن لحسن الحظ هذه الليلة تتكرر مجددًا الآن، أنا الذي اتصلت بكم، وأبلغتكم بحدوث جريمة قتل، في هذه الليلة، يمر المذنب مجددًا في فضائنا، وهذا الكائن يكون في أضعف حالاته، ويفقد السيطرة على الشخص الذي يحتل جسده

وبالتبعية على أتباعه كذلك لهذا تمكنت الآن من إخبارك بهذا.

قبل أن ينهار فجأة، ويسقط على ركبتيه وهو يقول بتوسل:

- أرجوك يا بني اقضِ عليه الآن، أفصل رأسي عن جسدي، وأشعل به النيران، هذه الطريقة الوحيدة للقضاء عليه أن الباقي لي في الحياة ساعات معدودة وذلك الكائن وأتباعه أعدوا عدتهم للانتقال لجسد شخص آخر وبدء دورة حياة جديدة بعد مرور المذنب، أرجوك تخلص منه الآن، قبل أن يستعيد قوته، لم تتبق سوى دقائق معدودة ويخرج المذنب من مدار الأرض، ونفقد فرصة القضاء عليه.

وجدت نفسي فجأة قد استعدت قدرتي على التحكم في أطرافي، فانتزعت مسدسي من غمده وأنا أصوبه للعجوز المنهار أرضًا، قبل أن ينتفض فجأة، ويصرخ صرخة مدوية كأنها تأتي من أعماق الجحيم.

وتفتح أبوابه في وجهي.

######

كانت صرخة العجوز مفزعة ومدوية كأنها تأتي من أعماق الجحيم، وجدت جسد معتز يطير في الهواء لمترين كاملين ليصطدم بالحائط خلفه، ويسقط أرضًا، ارتطم بجسدي العديد من الأشياء المتطايرة من حولي، وارتج كل شيء بشدة كأن المنزل يتعرض لزلزال أو إعصار، وانهار جزء من الجدار ليظهر خلفه حجرة سرية تحتوي على شيء أشبه بالمذبح يلتف حوله شخصان، وجدت الحارس العجوز الذي كنت قد نسيت أمره تمامًا في خضم كل ما حدث، ينقض علي فجأة وفي يده سكين ضخم وفي عينيه نظرة جنونية وهو يصرخ في لوعة وجنون:

- لن تمس شعرة واحدة من رأس سيدي، سينجو ويحيا كما يحيا دومًا.

أدرت سلاحي سريعًا نحوه، ودون تفكير أطلقت ثلاث طلقات متتالية على صدر الحارس الذي ارتد للخلف، قبل أن يسقط جثة هامدة، اعتدلت من سقطتي، وكان العجوز تومض عيناه ببريق أحمر غامض ومخيف كأنها تحولت لآتون من اللهب، استطال طوله على نحو مخيف، وأمدت أهداب شفافة من أطراف أصابعه وفتحات وجهه.

كان الشخصان اللذان ظهرا عند المذبح يتحركان نحوي بغضب، وكلاهما يمسك بلطة في يده، حاول أحدهما أن يطيح بعنقي وهو يطوح بالبلطة بحركة عشوائية في وجهي، فتفاديت طرفها الحاد بصعوبة وهي تحتك بطرف سترتي لتمزق جزءًا منها، قبل أن أدور حول نفسي، وأطلق على رأسه رصاصتين أصابوه في منتصف جبهته ليسقط جثة هامدة، درت على عقبيّ لأجد الآخر

ينقض علي ببلطته ليصيبني في يدي، ويطيح بمسدسي حتى الجدار السري المنهار، أمسكت بذراعه، لأمنعه من إصابتي مجددًا، وأشتبك معه في قتال عنيف، كانت الأهداب تتحرك ببطء ناحية جسد معتز الملقى أرضًا، يا رباه، ذلك الكائن يحاول أن يحتل جسدًا جديدًا، تحركت سريعًا، وألقيت بنفسي أرضًا، لألتقط سكين الحارس القتيل، قبل أن أغرزه بعنف حتى مقبضه في عنق الشخص الثاني، ليسقط من فوره صريعًا، كان العجوز ملقًا أرضًا، ويبدو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، والبريق الأحمر في عينيه بدأ يخفت، والأهداب ما زالت تتحرك نحو جسد معتز كأنها تمتلك إرادة حرة الذي ما زال ملقًا أرضًا فاقد الوعي.

فالتقطت البلطة، وهويت بها بعنف وبكل ما أملك من قوة على الأهداب ممزقًا إياها لأجزاء صغيرة مبعثرة، تحركت ناحية المذبح وأنا ألتقط مسدسي، وأقتحم الحجرة السرية ويا لهول ما رأيت.

وجدت أجساد العساكر المصاحبين لي جميعًا مقتولين ورؤوسهم مفصولة عن أجسادهم ومرصوصين بجوار بعضهم البعض بنفس شكل شعاع الشمس، أتباعه الأوغاد نالوا من رجالي بطريقة أو بأخرى، كانت الدماء منتشرة في كل مكان، وتوجد شموع وجماجم متناثرة، وفي الحائط المقابل، كانت توجد العديد من ثلاجات حفظ الموتى التي تحتوي على العديد من الجثث مفصولة الرؤوس.

يجب أن ينتهي هذا الكابوس الآن وللأبد، لا مجال لإبلاغ الإدارة والبحث الجنائي وانتظار قوات الدعم، أخذت أبحث في جنون عن أي مواد قابلة للاشتعال لحرق هذا الكائن.

لأجد أخيرًا إناءً ضخمًا ممتلئًا بالبنزين، يبدو أنهم كانوا سيستخدمونه بشكل أو بآخر في طقوسهم المختلة.

سكبت الإناء، لينسال السائل ذو الرائحة المميزة أرضًا، ويزحف سريعًا، وينتشر في كل مكان، خرجت سريعًا لأجد العجوز يحاول أن ينهض وقد اختفت الأهداب ويبدو أن تأثير المذنب أصبح قاب قوسين أو أدنى من التلاشي، وأنه سيستعيد قوته مجددًا، ودون أدنى تفكير، هويت بالبلطة على عنقه ثلاث ضربات متتالية سريعة، فصلت رأسه عن جسده الذي تهاوى وتدحرج مبتعدًا عن جسده، بينما البنزين كان يغمر جسده ببطء.

اتجهت إلى معتز لأحمله وأنا أتجه سريعًا مغادرًا القبو، قبل أن أستدير وألقي عليه نظرة أخيرة، وألتقط ولاعتي من جيب سترتي، وألقيها بكل قوتي باتجاه البنزين، لتشتعل النيران في كل أنحاء القبو.

غادرت الفيلا مسرعًا لأضع جسد معتز أرضًا فوق نجيل الحديقة، وأتجه ناحية سيارتي لالتقاط اللاسلكي، كانت النيران بدأت تنتشر في كل أنحاء الفيلا، كانت الساعة تقترب من الرابعة فجرًا، تنهدت بقوة وأنا ألتقط أنفاسي، وأنحني بداخل السيارة لألتقط اللاسلكي، وفجأة هوت على رأسي ضربة قوية حاولت أن أتماسك، وأن أستدير، لكن هوت على رأسي ضربة أخرى أكثر قوة، ومادت الأرض تحت قدميّ، وأظلمت الدنيا أمام عينيّ، وأهوى فاقد الوعي.

######

بعد مضي شهر
إدارة البحث الجنائي

خطوات قوية تسير بانتظام في طرقات الدور الثالث، قبل أن يتوقف صاحبها أمام مكتب اللواء.... مدير إدارة البحث الجنائي، ويطرق الباب ثلاث طرقات متتابعة، ليأتيه صوت المدير من الداخل يدعوه للدخول، ليدلف للمكتب، ويرحب به المدير، ويدعوه للجلوس، قبل أن يقلب المدير في أوراق ملف موضوع أمامه، ويغلقه في هدوء، ويعدل وضع نظارته الطبية على أنفه وهو يقول بهدوء:

- مرحبًا بعودتك للعمل يا سيادة المقدم، ومبروك على الترقية الاستثنائية، إنك تستحقها بالفعل بعد المجهود الذي بذلته في هذه القضية والتصرف الشجاع وإنهائها بنجاح.

- شكرًا لك يا سيدي والحمد لله الذي وفقني لهذا.

- بالتأكيد الحمد لله، لكن كان عندي بعض الاستفسارات عما حدث تلك الليلة.

- بالتأكيد، تحت أمرك يا سيدي.

تنهد المدير بعمق وهو يرتب أفكاره، قبل أن يقول:

- لماذا ذهبتوا إلى هناك؟

- بلاغ لقد أتى لنا بلاغ بوقوع جريمة قتل هناك.

- ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

التقطت أنفاسي وأنا أتذكر أحداث تلك الليلة المشؤومة، قبل أن أقول:

- اتضح أن كل هذا خدعة؛ خدعة أعدها بإتقان زميلي الرائد

أحمد، لقد كان مصابًا بهلوثة عقلية ما، بعد أن قرأ ملف تلك القضية المسماة بالكابوس أكثر من عشر مرات منذ استلامه العمل في الإدارة قبل الحادث بأسبوعين، لقد كان مهووسًا بها وبأحداثها وبكل ما حدث فيها، وقرر أن يعيد تطبيقها من جديد، بعد أن تواصل مع الضابط الذي كان يحقق فيها منذ أكثر من عشرين عامًا، والذي كان أيضًا مصابًا بهلوثة عقلية لدرجة أنه أقام فيلا في مكان الجريمة نفسه، لقد ذهب لموقع الحادث، ويبدو أنهم كانوا متفقين على هذا الموعد والتوقيت لإعادة الحادث من جديد، واصطحبنا معه، وأدخلنا إلى الفيلا بحجة وجود بلاغ بوقوع جريمة قتل هناك، ودخلت أنا وهو للمعاينة، وتركنا العساكر بالخارج، قبل أن يقدم لهم أحد الخدم العصير الذي يحتوي على المخدر كما أظهر تقرير الطب الشرعي، ثم بدأوا في قتلهم تباعًا، توقف لحظات وهو يبتلع ريقه الجاف، وظهرت على ملامحه الغضب وهو يكمل حديثه قائلًا:

- في هذا الوقت، كنت أنا بالداخل معه، واكتشفت بالمصادفة وجود مخبأ سري بالقبو معد بشكل مطابق لمسرح الجريمة السابقة، فحاولوا قتلي، وأخذوا سلاحي، لكنني تمكنت من التغلب عليهم، وأخذت سلاح الرائد أحمد، وقتلت حارس العقار واثنين من الخدم اللذين كانا من أعوان ذلك الضابط السابق، ومن ثم قتلت الضابط العجوز أيضًا.

لكن الرائد أحمد أشعل النيران في المكان لإخفاء الأدلة وطمسها، وحاول قتلي، لكنني تمكنت من إصابته بعيارين ناريين في رأسه، قبل أن أبلغ الإدارة وأنا بين الحياة والموت.

تراجع المدير بكرسيه للخلف وهو يخلع نظارته، ويلقيها على

المكتب أمامه:

- للأسف، لقد فقدنا العديد من الرجال الشجعان والشرفاء، وسُفِكَت الكثير من الدماء، يا لهذا الجنون، الحمد لله على نجاتك وإلا كانت أحداث تلك الليلة ستبقى لغزًا جديدًا دون تفسير، لأن النيران قضت على كل شيء، ودمرت كل الأدلة، وشرائط المراقبة كانت مشوشة، زفر بعمق قبل أن يقف وهو يمد يديه ليسلم على الشخص الجالس أمامه وهو يقول له:

- شكرًا لك على توضيح كل شيء أيها المقدم، لقد أظهرت شجاعة وبسالة نادرة يا معتز، ستُحفَظ القضية في الأرشيف خصوصًا بعد وفاة كل الجناة ووجود الرائد أحمد في العناية المركزة في غيبوبة يؤكد كل الأطباء أنه لا سبيل لاستيقاظه منها، وأنه يعد ميتًا إكلينكيًا.

شد المقدم معتز قامته وهو يقول في تواضع:

- لقد أديت واجبي فقط.

قبل أن يؤدي التحية العسكرية، ويدور على عقبيه، وينصرف.

وهو يرسم على وجهه تلك الابتسامة الساخرة.

وعيناه تشتعلان بالنيران.

وتبرقان بذلك البريق الأحمر المخيف

والمميز.

تمت

######

الكابوس الثاني

ليلة العرافة

في مكان ما في أحد أحياء القاهرة الراقية، وفي أحد أبراجها المميزة المطلة على نيل القاهرة الساحر، حيث توجد في الدور السادس عيادة الدكتور إبراهيم عباس جراح الأورام الشهير الذي أصبح نجمًا تلفيزيونيًا في الآونة الأخيرة وضيفًا مستديمًا في برامج التوك شو والبرامج الطبية مما ساعد في زيادة شهرته أكثر وأكثر، كانت عيادته تحتل مساحة الدور السادس كاملًا، وبمجرد دخولك من الباب الزجاجي الفاخر ستجد في استقبالك سكرتيرته الحسناء خريجة إحدى تلك الجامعات ذوات الثلاثة أحرف والتي تتحدث أربع لغات على الأقل بطلاقة، حيث كانت عيادته مزارًا للعديد من المرضى الأجانب قبل المصريين، كانت العيادة مكتظة بالمرضى من مُختَلِف الطبقات والجنسيات، وكلهم ينتظرون بفارغ الصبر دورهم، بينما كانت غرفة الكشف حيث يحتل مكتب الدكتور إبراهيم الجدار الزجاجي بالكامل المطل على النيل، وتحتل مكتبته المكتظة بالكتب والمراجع الطبية الجدار أمامه مباشرة، كان الدكتور إبراهيم قد وصل لتوه، واستقر خلف مكتبه ليبدأ يوم عمل اعتيادي آخر لن ينتهي قبل العاشرة أو الحادية عشرة مساءً كما اعتاد.

كان دكتور إبراهيم في منتصف الخمسينات متوسط الطول ذا جسد متناسق أقرب للنحافة وشعر رمادي اللون كثيف متوسط الطول مصفف بعناية، لم يكن يومًا ممن وُلِدوا وفي أفواههم معلقة من الذهب، ولم يكن طريقه يسيرًا أو ممهدًا بل بالعكس فهو كان في الأصل من عائلة متوسطة الدخل وأصغر الأبناء الخمسة لوالده الموظف البسيط في وزارة الزراعة، لكنه كان دومًا ومنذ طفولته

حالمًا وطموحًا، وكان مُصِرًا على أن يحقق النجاح والكثير من الأموال، كان الثراء هدفه مهما كلفه الأمر، ومهما تخطى من صعاب، وقدم تنازلات، وها هو في منتصف الخمسينات يمتلك عيادته الخاصة في حي راقٍ وفيلته في التجمع الخامس وأخرى في الساحل الشمالي وسيارة ألمانية الصنع وأخرى لزوجته والعديد من الأسهم في أكبر المستشفيات الخاص وابنته الوحيدة تدرس الطب في إحدى أعرق الجامعات في إحدى الدول الأوروبية لتقود إمبراطوريته الطبية من بعده واشتراك في نادي جماهيري كبير حيث يمارس رياضته المفضلة وهي التنس، فرغم أنه في منتصف الخمسينات، فإنه ما زال محافظًا على لياقته ووسامته ووافر الصحة، كانت له العديد من النزوات النسائية على مر السنوات والتي مرت دون أن تشعر بها زوجته، وحتى لو شعرت بالتأكيد ستتغاضى عن الأمر، ولن تضع نفسها في مواجهة مباشرة معه قد تكون نتيجتها أن تخسر كل ما يمنحه لها من مميزات ومستوى اجتماعي. كانت حياته تسير على أحسن ما يرام وقد حقق كل أحلامه، لكن هناك شيء واحد يؤرق عليه حياته. إنها تلك الليلة وما عرفه فيها منذ خمسة أيام.

حيث كان على موعد مع أحد أصدقائه المستحدثين والذي كان يعمل منتجًا سينمائيًا والذي دعاه إلى حفل ساهر في فيلته في الشيخ زايد، كان معتادًا على أجواء الحفلات في الآونة الأخيرة، لكن هذه الحفلة كانت تختلف، لم يكن يعلم هذا قبل وصوله لهناك، كانت أعصابه ما زالت مشدودة من ليلتها، فالتقط غليونه الذي اعتاد استخدامه بدلًا من السجائر، ووضع التبغ والزيت المخصص به،

قبل أن يشعله، فيسعل مرتين، وينفث دخان غليونه في فضاء الغرفة، وينظر عبر الجدار الزجاجي، ويتذكر أحداث تلك الليلة.

ويتذكر ما حدث بها.

عندما وصل بسيارته إلى فيلا صديقه المنتج السينمائي، كان يتوقع كالعادة الكثير من السيارات والأضواء والمشاهير، لكن كان الوضع هذه المرة مختلفًا تمامًا، كانت الفيلا غارقة في الظلام ما عدا ضوء تلك الحجرة في الدور الثاني، ولاحظ ظل تلك المرأة التي تقف خلف زجاج النافذة، لم يعلم من هي هذه السيدة، لكنها بالتأكيد إحدى المدعوات للحفل مثله، بمجرد دخوله من باب الفيلا، وجد في استقباله صديقه المنتج الذي استقبله بترحاب شديد وهو يصطحبه للدور العلوي فقال له الدكتور إبراهيم:

- لا توجد أي أجواء لحفل هنا.

فنظر له صديقه وهو يغمز له بإحدى عينيه قائلًا:

- إنه حفل من نوع خاص ولعدد محدود من الأصدقاء.

وبمجرد وصولنا إلى الدور الثاني، دلفنا إلى الحجرة الوحيدة المضاءة، كانت مختلفة عن باقي أجواء الفيلا، وكانت ممتلئة بالبخور ذي الرائحة العطرية النفاذة والإضاءة المبهرة، كان هناك في أحد الأركان قعدة عربي والعديد من الوسائد الضخمة المتراصة بانتظام حول ترابيزة ذات قوائم قصيرة يجلس أمامها سيدة ذات ملابس غريبة ذات طابع أفريقي وبشرة داكنة، ويوجد أمامها بلورة زجاجية متوسطة الحجم، بينما يجلس أمامها أربعة أفراد رجلان

وسيدتان.

زويت ما بين حاجبي وأنا أتساءل باستنكار:

- من هذه السيدة. هل هي دجالة؟

ضحك صديقي بشدة حتى حسبت أن قلبه سيتوقف في أي لحظة، قبل أن يقول وهو ما زال يضحك:

- إنها عرافة. أشهر عرافة إفريقية، إنها تستقر في مصر منذ بضعة شهور وهي مقصد وهدف لكل المشاهير.

ضممت شفتيّ في تذمر واستنكار:

- ما هذا الهراء؟ وما الفائدة المرجوة من وراء هذا؟

ضحك مجددًا وهو يقول:

- لا فائدة ولا ضرر سوى بعض المرح والتجديد، ما الضرر الذي يمكن أن يحدث من وراء هذا؟ لا شيء. يمكنك أن تستمع فقط، إذا لم تكن تريد المشاركة، فلقد جمعت نخبة ممتازة سأخبرك عنهم.

الرجل الأول الذي يجلس في أقصى اليسار دكتور في الأدب الإنجليزي حاصل على دكتوراة من أعرق جامعات إنجلترا وعائد حديثًا لمصر، بينما الرجل الذي بجواره هو ممثل مغمور، وحصل على أول بطولة سينمائية له في فيلم من إنتاجي، أما السيدة التي تجاوره، فهي سيدة أعمال ومتزوجة بأكبر رجال الأعمال، ولولا وجوده خارج مصر، لانضم إلينا اليوم والفتاة التي بجوارها هي ابنة شقيقتي ستتزوج وتسافر خلال أيام، فكما ترى كلهم أشخاص لطفاء وينتظرهم مستقبل مشرق وأيام سعيدة، فلا داعي للقلق. هيا

لننضم إليهم، ونبدأ المرح.

تحت إلحاحه انضممت إليهم، وجلست في المنتصف بين الممثل وسيدة الأعمال ومباشرة أمام العرافة الإفريقية التي ابتسمت لي ابتسامة مرعبة كشفت عن عدد هائل من الأسنان التي تعاني التسوس، ويبدو أن هذه كانت أكثر ابتسامة ودود تمتلكها، قبل أن يدخل علينا أحد الخدم وهو يحمل صينية مذهبة عليها عدد من الكؤوس التي تحتوي على شراب ما، قدمه لنا في سرعة، قبل أن يختفي من أمامنا.

تحدث مضيفنا قائلًا:

- اليوم في ضيافتنا العرافة الشهيرة مكاشا، أرجو من حضراتكم احتساء الشراب، ومن منكم لا يحتسي المسكرات، ليس عليه القلق، لأن هذا شراب خاص أعدته مكاشا من أعشاب طبيعية ليساعدنا كي تصفو أذهاننا.

تناولت كوبي، وتشممت رائحة المشروب، قبل أن أتشجع وأرتشف منه بضع رشفات صغيرة، كان طعم النعناع ورائحته الأكثر طغيانًا على بقية المكونات، لكني أرى أنه في الأغلب خليط من العديد من الأعشاب.

تحدثت مكاشا بصوت رفيع وبإنجيليزية ركيكة وهي تقول:

- لقد سُعِدَت بمقابلتكم اليوم، جميعكم في مفترق طرق في حياتكم، أو تواجهون مشكلة ما على عكس ما يبدو عليكم، ووسطكم بعض الأفراد المقتنعين بقدراتي وآخرين من المشككين فيها.

قالتها وهي تحدق إلي مباشرة، فبادلتها التحديق بجراءة وأنا أقول لنفسي من تظن نفسها هذه الدجالة الجاهلة المأفونة، أتظن أني قد أصدق كلامها، يا لها من حمقاء.

وفجأة، انطفأت الأضواء في الحجرة، واستنارت بلورتها، فشهق الجميع، وصرخت السيدة التي بجواري صرخة رفيعة مذعورة إلا أنها كتمتها بسرعة، قبل أن تقول مكاشا بصوتها الرفيع:

- الآن نحن مستعدون للبدء، من الذي سيبدأ؟

قال صوت متوتر أتى من أقصى اليسار:

- أنا من سيبدأ.

فالتفت إليه مكاشا، ونظرت له بعمق وهي تقول:

- فلتستعد لرحلتك الآن.

######

والآن فلتبدأ رحلتك.

أحمد السعيد.

العمر ٣٤ عامًا.

الابن الوحيد لعميد شرطة سابق، ينحدر من أسرة عريقة، حصل على ليسانس الآداب بتقدير عام امتياز، وعُيِّن معيدًا بها، حصل على الماجستير في الأدب المقارن، قبل أن يسافر لإنجلترا في منحة للحصول على الدكتوراة في الأدب الإنجليزي.

كان أحمد السعيد ضعيف البنية قصير القامة، يمتلك وجهًا طفوليًا ممتلئًا وشعرًا قصيرًا يتراجع للخلف يومًا تلو الآخر ليكشف عن جبهة عريضة، كان يعاني ضعف الشخصية بشكل مفرط، ولا يستطيع اتخاذ أي قرار بمفرده، وربما يعزي هذا، لأنه ابن وحيد أو لأن والده توفي وهو لم يكمل عامه السابع بعد، وتربى وترعرع في كنف والدته التي بالغت في حمايته والخوف عليه بشكل أضره أكثر مما أفاده، وجعله يعتمد على والدته بشكل أساسي في كل قرارات حياته الصغيرة منها قبل الكبيرة، ولا يستطيع التصرف في أي شيء دونها.

كانت والدته سيدة قوية الشكيمة متحفظة في كل تصرفاتها، لا تترك كبيرة أو صغيرة تحدث دون أن تكون على علم بها، كان منزلها مملكتها وهي سيدته الوحيدة، لم تكن تتخيل يومًا أن ابنها قد يتركها أو يبتعد عنها أو حتى أن يتزوج ويستقل بحياته.

الزواج.

كان هذا أكبر مشكلة في حياة أحمد السعيد، لقد تعرض لمواقف عديدة من التنمر على مدار حياته منذ طفولته ومرورًا بمراهقته وحتى بعد أن أصبح أستاذًا جامعيًا بسبب رقته المبالغ فيها وتعلقه الدائم بوالدته وقِصَر قامته وخوفه وتوتره بشكل دائم، وحتى بسبب ملابسه التي كانت والدته تصر على ارتدائه إياها والتي كانت لا تتناسب مع حجمه ولا سنه، وعندما كان يعترض على هذا بشكل طفولي، ويبدأ في البكاء، كانت والدته تصرخ فيه قائلة:

- وأنا هستفيد إيه بأناقتك عندما تصاب بالتهاب رئوي حاد، وتموت وتتركني وحيدة.

أما في سن المراهقة، فقد كانت دائرته الاجتماعية محدودة للغاية وعدد أصدقائه لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة بأي حال من الأحوال، أما الفتيات، فكان ينظر لهن على أنهن كائنات خرافية عجيبة قادمة من الأساطير الإغريقية، يشاركونه الحياة نفسها، لكنه لم يستطع يومًا أن يلفت انتباههم، أو يتواصل معهم بأي شكل من الأشكال.

لم يكن وسيمًا وخجولًا وضعيفًا ومتوترًا، ويتصبب عرقًا كأنه ارتكب جرمًا ما لتوه، وسيقبض عليه في أي وقت.

كل هذا جعل العمر يمضي به دون أن يرتبط بأي علاقة عاطفية، ووالدته كانت تتجاهل موضوع زواجه بشكل مستمر، كانت تعلم أن هذا الأمر قادم لا محالة، لكنها كانت تؤجله بقدر

استطاعتها، فمن هذه التي تستحق أن تتزوج ابنها، وتشاركها إياه، كانت تخطط بدقة، لتختار له الزوجة المناسبة من وجهة نظرها والتي تكون طوع بنانها هي الأخرى، لهذا عندما جاءت المنحة لابنها، شجعته لقبولها، لأنها من وجهة نظرها فرصة ذهبية لتأجيل موضوع الزواج لعدة سنوات أخرى.

وبمجرد وصوله إلى إنجلترا، انضم لجامعة كامبريدج، وبدأ العمل على أطروحته تحت إشراف أستاذ الأدب الإنجليزي هاري كينجهام. كان رجلًا إنجليزيًا كما يوصفوا في الروايات بشاربه الضخم وقامته الفارعة وبياضه المشوب بحمرة كأنه محتقن دومًا وعلى وشك الانفجار، رغم برودة أعصابه وهدوئه الأسطوري المشهور به، وعصاه الفضية ذات المقبض العاجي التي يتكئ عليها، كان قوي الشخصية وصارمًا وذا حضور طاغٍ بشكل لم يره أحمد من قبل، وتوطدت علاقتهم، واستفاد أحمد بشكل كبير من نصائحه في مجاله العلمي حتى مضت سنوات البعثة سريعًا، وناقش أحمد أطروحته بتفوق.

وعندما كان يستعد للعودة لمصر مجددًا، دعاه الدكتور هاري للعشاء في منزله ليقضوا الأمسية معًا، استجاب أحمد لدعوته بحماس، واستعد في الموعد المحدد، وارتدى بذلته الصوفية رمادية اللون وفوقها البالطو الأسود الثقيل الذي اشتراهما خصيصًا لتدفئته في طقس إنجلترا البارد في هذا الوقت من العام.

وفي الموعد المحدد، توقف التاكسي الإنجليزي العتيق أمام قصر الدكتور هاري.

كان في استقباله خادم إنجليزي اقتاده عبر طرقات القصر حتى وجد الدكتور هاري في انتظاره في حجرة الطعام الضخمة التي كانت مائدة الطعام تحتل نصف مساحتها على الأقل، كان هناك اثنان من الخدم اللذين تناوبا على تقديم أصناف الطعام المختلفة في دقة وانتظام، ورغم مضي عدة سنوات منذ مغادرتي لمصر، فإن معدتي لم تعتد بعد هذا الطعام الإنجليزي البارد، وكانت نفسي تشتاق دومًا الأكلات المصرية الشهية المشبعة بالدهون والتي اعتدت تناولها من أيدي والدتي.

بعد انتهاء العشاء، اصطحبني الدكتور هاري إلى غرفة مكتبه حيث جلست على الأريكة الوثيرة، وجلس دكتور هاري خلف مكتبه، وأشعل سيجاره الإنجليزي الرفيع، ويستنشق دخانه في استمتاع، قبل أن يلتفت إلي وهو يقول بلكنته الإنجليزية الراقية:

- دكتور أحمد، إني سعيد لتلبيتك دعوتي اليوم، لكني أريدك أن تعرف أني لم أدعك اليوم بغرض تناول العشاء وتوديعك قبل سفرك فقط، لكني أردت أيضًا أن أقدم لك هدية ستكون حلًا لكل مشكلاتك.

تلعثمت وأنا أتساءل متوترًا:

- أي مشكلات تقصد يا سيدي؟

اعتدل في جلسته وهو يشير لصورة ضخمة مرسومة لشخص يرتدي ملابس الفرسان العسكرية المميزة لمنتصف القرن الثامن عشر، ويمتطي حصانًا أسود عملاقًا وهو يقول في فخر:

- هذه صورة جدي الأكبر اللورد كينجهام، لقد كان قائد الجيش الملكي الفيكتوري، هناك العديد من الكتب في تاريخنا أفردت صفحات وصفحات للحديث عن شجاعته وإقدامه غير المألوف في المعارك التي خاضها في تأسيس العالم الجديد، لكن ما لم يذكر في هذه الكتب أنه كان في الأصل جبانًا، ورعديدًا، ويخشى أي شيء وكل شيء. وكاد أن يُتَوَفى في أول مواجهة له مع هنود الأباتشي، قبل أن يتمكن بصدفة ما من قتل أحدهم والحصول على قلادته التي كان يتقلدها حول عنقه، وبعدها تحول حاله مائة وثمانين درجة، وأصبح من أشجع الفرسان، وفتك بكل أعدائه، وانتصر في كل معاركه، وتقلد الأوسمة الملكية حتى أصبح لورد، وصنع اسم عائلة كينجهام، ومن بعدها تناقل أبناؤه وأحفاده القلادة عبر الأجيال، وكان اسمنا دومًا مثالًا للشجاعة والإقدام في التاريخ الإنجليزي، وتقلد جدي الأوسمة في الحرب العالمية الأولى وأبي في الحرب العالمية الثانية، قبل أن تصل أخيرًا لي. لا أحد مننا يعلم ما سر هذه القلادة، لكن صدقني لقد كنت مثلك في شبابي مترددًا ومتوترًا وخائفًا طوال الوقت، ولا أستطيع مواجهة أحد، لكن بمجرد ارتدائها، تغير حالي تمامًا، وأصبحت الشخص الذي أنا عليه الآن، وبما أن زوجتي وولدي الوحيد قد توفيا، فلقد قررت منحك هذه القلادة، لقد حان الوقت لأتخلى عنها لشخص آخر في حاجة إليها أكثر مني، حان وقت أن تغادر عائلة كينجهام لتمنح الشجاعة لعائلة أخرى في جزء آخر من العالم.

قالها وهو يفك زر قميصه العلوي، ليظهر أسفله قلادة فضية مستطيلة لا يتجاوز حجمها بضعة سنتيمترات، وتبدو كأنها تحمل ملامح حيوان ما لا يمكن استيضاح تفاصيله.

قبل أن يخلعها، ويضعها حول عنقي وهو يربت على كتفي ويقول بسعادة:

- ينتظرك الكثير من المجد.

قبل أن يغمز بعينيه لي وهو يضيف قائلًا:

- كما أن لها تأثير ساحر مع الفتيات.

ودعته وأنا أنصرف، ولغرابة الأمر بدأت أشعر أني فعلًا مختلف كأن هناك طاقة تدفقت بداخلي، وبعد أن ظللت طوال عمري أعيش في الظل، وأتوارى بين الكواليس، أصبحت فجأة على المسرح وبطل العرض، والكل ينظر لي باحترام.

بعدها عدت لمصر.

كانت والدتك بانتظارك، وكانت أول من شعرت بالتغيير الذي حدث لك، بالطبع الأمهات لديهن القدرة على معرفة حدوث أي تغيير في طباع أبنائهم، لكنها أعزت هذا التغيير لسفرك وبعدك عنها لفترة طويلة.

زميلتك الحسناء سهام والتي كنت تخشى أن تمر أمامها، ولم تتمكن يومًا قبل سفرك من تبادل كلمتين معها، فجأة، أصبحت تهتم بك، وتنظر لك بإعجاب، حتى أنك قد تجرأت وتحدثت معها بكل ثقة ولباقة، وضحكت على دعاباتك، واتفقت معها على

خطوبتها.

حتى أن والدتك لما حاولت الاعتراض على هذه الزيجة وهذه الفتاة بالذات، تصديت لها بكل قوة، ولأول مرة في حياتك قلت بكل وضوح لا. وهددتها بالابتعاد عنها لتجبرها على مباركة هذه الزيجة.

وأمام صرامتك غير المعهودة، رضخت لمطالبك، ورضيت بها.

حتى رئيس القسم الذي كان يستخف بك، ويتوعدك وسيوقف ترقيتك، لا أحد يعلم ماذا دار بينك وبينه عندما دخلت مكتبه، وانفردت به، قبل أن يتراجع عن كل قراراته ضدك، ويوافق على قرار ترقيتك.

حتى أنك لاحظت عندما تقف أمام المرآة أن ملامحك بدأت تتغير، وأصبحت أكثر رجولية، وأنك أصبحت أكثر طولًا وقوة.

تنهدت مكاشا، وتوقفت عن الحديث الذي كانت تسترسل فيه وهي تنظر في بلورتها، وتحكي كل ما سبق، كانت هناك ومضات سريعة تظهر بين الفينة والأخرى، يظهر فيها وجه أحمد ووجه هاري ووجه والدة أحمد، قبل أن تكمل قائلة وهي تبتسم ابتسامة صفراء:

- كل ما قلته سابقًا ماضٍ وذكريات. أليس كذلك؟

أومأ لها أحمد برأسه، دون أن يتكلم، بينما قالت السيدة على يساري بلهجة متعالية:

- ويمكن لأي أحد معرفته دون الحاجة لبلورة أو قدرات سحرية.

ضحكت السيدة مكاشا وهي تقول في نبرة تحد واضح:

- هذا صحيح، لكن ما لا يعلمه أحد سوى الدكتور أحمد أنه منذ أول يوم من بعد ارتدائه لهذه القلادة وهو يشاهد كوابيس شنيعة، وتطارده ذكريات وأحداث ماضية لا يعلم متى وأين حدثت؟ وكذلك يظهر في أحلامه أشخاص يتألمون وكلهم يرتدون هذه القلادة، حتى أن الأمر تطور، وأصبح يستيقظ من نومه ليجد نفسه في أماكن أخرى وعلى ملابسه آثار دماء، ولما حاول أن يتخلص من هذه القلادة لم يستطع التخلي عنها، والآن أصبحت تدور داخل رأسك أفكار شنيعة وبشعة، وتشعر أنك لم تعد أنت. أليس كذلك؟

قالتها وهي تنظر لدكتور أحمد باهتمام والذي كان يتصبب عرقًا وهو يقول بصوت مبحوح:

- نعم، هذا ما يحدث لي بالفعل، إني أنهار، ولم أعد أحتمل، ماذا يمكنني أن أفعل؟ ما الحل؟

نظرت له مكاشا وهي تقول بهدوء:

- ما لا تعلمه، ولم يخبرك به دكتور هاري أن كل جدوده وأباه قد انتحروا، أو أصيبوا بالجنون نتيجة لاتهامهم بجرائم قتل شنيعة، وماتوا في المصحات العقلية، إن أول درس تلقنه لنا أمهاتنا ألا نأخذ الهدايا من الغرباء، إن دكتور هاري قد تقبل مصيره، ويعلم أنه لن يختلف عن مصير أجداده، لكن القلادة أجبرته على أن يمنحها لشخص آخر، ولِمَ لم يكن له أبناء فلم يجد أمامه سواك، بالإضافة

إلى أن هناك بضعة شروط لهذا الشخص، فمثلًا لا بد أن يكون في الثلاثينات، وأن يعاني ضعف الشخصية والسلبية والتردد، ولا بد أن يتمنى الحصول على هذه القلادة.

ما لم يعلمه دكتور هاري وأجداده أن هنود الأباتشي كانوا يستحضرون أرواح الحيوانات، ليحبسوها في قلادتهم، ويكتسب مقاتلوهم صفاتهم، وتمدهم بالشجاعة والقدرة على القتال وبث الرعب في قلوب أعدائهم، طبعًا لا شيء يأتي مجانًا يا عزيزي، فالحياة لا ترسل هداياها للحمقى والجبناء، فكان المقابل جنونهم وانتحارهم بعد ذلك.

كان الدكتور أحمد يتصبب عرقًا بشكل مبالغ فيه، وكدت أشعر أن قلبه سيقفز خارج صدره من شدة دقاته التي أصبحت تصل لمسامعي في موضعي هذا.

أكملت مكاشا حديثها قائلة:

- ستسألني الآن وما الحل؟ حسنًا يا عزيزي، إن دكتور هاري يعالج في مصحة نفسية الآن وعلى مشارف الموت في أي وقت، وأنت للأسف مصيرك قد كُتِب، وانتهى الأمر، لكن سأخبرك أنه عليك محاولة إيجاد شخص بمواصفاتك نفسها، لتمنحه هذه القلادة فهل ستجده أم لا؟ وهل سيسمح لك ضميرك بهذا وأنت تعلم المصير الذي ينتظره؟

هل ستقدر على مواجهة مصيرك بشجاعة بعد التخلص من القلادة وهل ستقدر على التعايش مع نفسك القديمة الضعيفة

المهزوزة مجددًا؟ أم سيكون مصيرك الجنون أو الانتحار أو ما هو أسوأ؟ وبالطبع هناك احتمال أن أكون مجرد دجالة، وما أقوله مجرد هراءات فهل ستخاطر بعدم تصديقي؟

قالتها قبل أن تصمت لثوان، ومن ثم تكمل قائلة في هدوء وبساطة:

- من التالي؟

كأنها لم تخبر شخصًا لتوها بأخبار ستدمر حياته تمامًا.

سمعت صوت السيدة التي بجواري وهي تقول بلهجتها المتعالية:

- من فضلك، أنا سأكون الشخص التالي.

تنفست مكاشا بعمق، قبل أن تلتفت لها وتقول:

- حسنًا يا عزيزتي، والآن ستبدأ رحلتك.

ولتضأ البلورة من جديد.

######

جيهان إسماعيل.

العمر ٤٢ عامًا.

بيضاء البشرة، جميلة الملامح، متناسقة القوام وذات عود ممشوق، لها شعر أشقر متوسط الطول منسدل حتى كتفيها، لا يمكنك أبدًا بالنظر إليها إعطائها عمر أكثر من أواخر العشرينات، خريجة كلية التجارة من عائلة بسيطة في حي شعبي، لكنها كانت ذات طموح غير محدود، عملت فور تخرجها محاسبة في إحدى الشركات الصغيرة التابعة لمؤسسة المليجي للإلكترونيات والصناعات الكهربائية، تمكنت بجمالها الفائق الملحوظ من لفت نظر ابنه ووريثه الوحيد الذي كان آنذاك في منتصف الثلاثينات، تقرب منها، وجعلها سكرتيرته الخاصة، حاول أن يجعلها واحدة من نزواته المتعددة، لكن هي كان لها هدف آخر، كانت تسعى لتكون سيدة هذه الإمبراطورية، وبالفعل تمكنت بذكائها وحنكتها من إيقاعه في حبائلها وإجباره على الزواج بها، فلم يكن أمامه من سبيل آخر للظفر بها.

زواجهم مستمر الآن لأكثر من ستة عشر عامًا، في أول ثلاث أو أربع سنوات من الزواج، حاولت من تعديل سلوكه وجعله إنسانًا أكثر التزامًا واستقرارًا خصوصًا بعد أن رزقهم الله بتوأمين من الذكور، لكنه كان ما زال مستغرقًا في نزواته وشهواته، فلما يئست منه، قررت التركيز لتكون سيدة مجتمع وأعمال، ومنحها زوجها عددًا من

الشركات لتصبح هي رئيسة مجلس إدارتها، وأظهرت حنكة ومهارة إدارية جعلت شركاتها من كبرى الشركات والمؤسسات الاقتصادية في مصر، وعلى الجانب الآخر، ترك زوجها لها كل الأعمال، ووجدها فرصة للاستغراق أكثر وأكثر في ملذاته وإدمان القمار الذي أصبح يجري في دمائه محل كرات الدماء الحُمر بالإضافة لمطاردته للفتيات وصرفه ببذخ عليهن مما تسبب في انهيار شركاته وجعلها في مهب الريح وعرضة للإفلاس وهو عرضة للسجن في أي وقت، ما يبقى شركاته محتفظة بشكلها وقيمتها بعض الشيء في الأسواق المالية هو الاسم الذي بناه والده على مر السنوات السابقة والدعم الذي تقدمه له شركات زوجته، فرغم أن علاقتهما الزوجية في الحضيض على عكس ما يبدو أمام المجتمع، فإنه ما زال والد أبنائها، وما زالت تتذكر حبها له يومًا ما.

توقفت الأم مكاشا عن الحديث وهي تلتقط أنفاسها، قبل أن تقول:

- ما لا تعلمه السيدة جيهان هو أن زوجها يعلم بأمر عشيقها.

شهقت جيهان في فزع وهي تقول باستنكار:

- ما هذا الذي تقوليه أيتها المأفونة. هل أصابتك هلوثة عقلية ما؟

ضربت مكاشا بيدها على المنضدة وهي تقول بغضب هادر:

- احذري أسلوب حديثك معي، فأنتِ لا تعلمي ما بإمكاني فعله بك.

قبل أن تظهر صورة شاب وسيم في البلورة أمامها والسيدة مكاشا تكمل في غضب قائلة:

- زياد الدسوقي مدربك في صالة الألعاب الرياضية توطدت علاقتك به، قبل أن تقعي في غرامه، وتمارسا الحب معًا، ربما كانت هذه طريقتك للانتقام من زوجك، أو لأنك اكتشفتِ إضاعتك لعمرك مع شخص أناني لا يعبأ لأمرك، وأنك تخططي الآن للانفصال عن زوجك والزواج بزياد، لكنك في قرارة نفسك تعلمين أن زوجك لن يسمح لكِ أبدًا بأخذ أمواله وشركاته وتركه على حافة الانهيار وشفا الهاوية.

كانت جيهان على وشك البكاء ورأسها منكسة في الأرض، ولا تقوى على رفع عينيها.

قالت مكاشا بلهجة خبيثة:

لا داعي للخجل يا عزيزتي، ثم إن الذي لا تعلميه أن زوجك يعلم كل شيء بشأن علاقتك مع زياد بالفعل.

شهقت جيهان في فزع مرة أخرى، قبل أن تضع يدها على فمها، لتنساب دموعها من عينيها وهي تقول في تألم:

- يا إلهي، يا إلهي، هل يعلم؟

قالت مكاشا بهدوء:

- نعم يا عزيزتي، إنه يعلم، لكنه رجل عملي وذكٍ، ولن يسمح لكِ بتركه وبضياع كل الثروة التي تمتلكينها والتي تخصه في الأساس من بين يديه، وينهار من بعدك هو وشركاته، فلهذا فهو يخطط

لقتلك غدًا.

كانت السيدة جيهان قد فقدت كل الدماء من وجنتيها، وشعرت أنها على الوشك التحول لزومبي أو شبح، وأصبحت غير قادرة على النطق، واحتوتها الفتاة بجوارها، وأخذت تحاول تهدئتها، قبل أن تكمل مكاشا قائلة:

- يا للنساء، تماسكي يا عزيزتي. إنك لمحظوظة لوجودك معنا اليوم، سأساعدك على النجاة. زوجك سيرسل غدًا قاتلًا مأجورًا سيحاول قتلك عند منتصف الليل، لكنك ستكونين بانتظاره في حجرة نومك ومسدس زوجك معك أسفل الوسادة، وستطلقين عليه النار ليخر صريعًا، سيكون الأمر دفاعًا عن النفس، وبالإضافة لذلك، فإن القاتل سجل كل مكالمات الاتفاق بينه وبين زوجك على الهاتف الخاص به، وبالتالي، ستتمكني من الإبلاغ عنه، وستسجنيه وتحصلي على الطلاق، وتكوني أنتِ الضحية المظلومة، وتتزوجي من تحبي، لا تقلقي يا عزيزتي السيدة مكاشا في صفك الآن.

الآن القرار عائد لك لإما ألا توجدي في منزلك غدًا في هذا التوقيت، وبالتالي، لن يتمكن من قتلك، لكنك قد لا تتمكني من الطلاق منه أبدًا.

أو أن تفعلي ما أخبرتك به سابقًا، وتفوزين بكل شيء، إن القرار قرارك، ولتعلمي أن مصيرك قد تحدد بالفعل.

قالتها قبل أن تتوقف عن الكلام فجأة كأن أحدهم قد فصلها من قابس الكهرباء على حين غرة.

ثم أكملت بهدوء جملتها الأثيرة التي أصبحت تثير القشعريرة في بدني وهي تقول:

- والآن من التالي؟

تبادلنا النظرات معًا في قلق، وأصبحت أشعر أن أجواء الغرفة أصبحت مشبعة بالتوتر الذي نتنفسه مع كل نفس نأخذه، وأنا أقول في نفسي ولنفسي إن كل أخبارك شؤم وخراب أيتها البومة المشؤومة، شعرت أنني يجب أن أنصرف الآن، لكن الرجل بجواري قطع حبل أفكاري وأنا أسمع صوته المميز يقول في هدوء:

- أنا ليس لدي أي أسرار أخفيها، وحياتي تتجه للأحسن أخيرًا. أعلم أن المستقبل المشرق في انتظاري، وهذا ما كلنا نحتاج إلى سماعه الآن بعض الأخبار الإيجابية.

نظرت له مكاشا نظرة تحمل أكثر من مغزى وهي تبتسم بخبث في هدوء وتقول:

- حسنًا، فلتبدأ رحلتك الآن.

######

حسام نور الدين

العمر ٣٨ عام

متوسط الطول، قمحي البشرة وذو شعر مجعد قصير. ممثل شاب، تخرج في معهد السينما منذ خمسة عشر عامًا، كان يعشق التمثيل بكل جوارحه، شارك في العديد من المسلسلات والأفلام والمسرحيات ذات الميزانيات المحدودة في أدوار صغيرة، رأى معظم المخرجين والمنتجين وزملائه الممثلين أنه صاحب موهبة تمثيلية محدودة وأداء ضعيف، ويمتلك الحد الأدنى من الموهبة خصيصًا أنه لم يتمكن على مدار هذه السنوات من إقامة أي صلات قوية داخل المجال الفني ووسامته محدودة، ولن يخرج أبدًا من بوتقة الأدوار الصغيرة، ولن يكون يومًا حتى من نجوم الصف الثاني أو حتى الثالث، لكن منذ شهرين منحه مضيفنا المُنتِج السينمائي جلال الأسعدي دور ثان في مسلسل ذي إنتاج ضخم، ونال أداؤه استحسان الجمهور، وشهد أداؤه التمثيلي تحسنًا ملحوظًا، تبع هذا حفل توقيع عقد أول فيلم سينمائي من بطولته من إنتاج مضيفنا أيضًا، وسيبدأ نجمه السينمائي في البزوغ أخيرًا.

نفخ حسام أوداجه في فخر وزهو وهو يبتسم في سعادة، لكن مكاشا أكملت قائلة:

- لكن يجب أن نعلم أن حسام لديه هواية أثيرة ألا وهي شراء بعض المقتنيات والتحف القديمة، وفي الآونة الأخيرة، تمكن من

شراء مرآة أثرية بثمن بخس، ويقال إن العديد من الفنانين والمشاهير في جميع أنحاء العالم قد اقتنوها خلال فترات من حياتهم، وقد جلبت لهم الحظ السعيد، وحققوا نجاحات مذهلة، لكنها للأسف كانت لفترة قصيرة، وانتهت حياتهم بالموت المفاجئ نهايات بشعة في حوادث مروعة، يقال إن أول من اقتناها كان الرئيس الأمريكي إبراهام لينكولن، وكانت هدية مُنِحت له، قبل أن يُغتال بعدها بعام ونصف في العام ١٨٦٥، لتظهر مجددًا في حوزة الممثل الأمريكي الشهير جيمس دين الذي اشتهر، وأصبح نجم الشباك الأول لسنتين على الأكثر، قبل أن يُتَوَفى في حادث سباق مروع في العام ١٩٥٥ لتباع في المزاد من بين مقتنياته الأخرى، لتحصل عليها النجمة الشهيرة مارلين مونرو ليذاع صيتها بعدها، وتنهال عليها العروض والأفلام السينمائية، قبل أن تنتحر أو تموت مقتولة في العام ١٩٦٢، ثم انتقلت ملكيتها للرئيس الأمريكي جون كينيدي وبعد اغتياله بعدها في العام ١٩٦٣ تخلصت منها زوجته على الفور كما نصحها العديد من الخبراء، وتختفي سيرتها وأثرها لعدة سنوات، قبل أن تظهر مجددًا في حوزة الممثل الاسترالي هيث ليدجر الذي حاز شهرة واسعة عن دور الجوكر، لكنه توفي قبل أن يستلم جائزة الأوسكار في العام ألفين وثمانية التي حصل عليها لأدائه لهذا الدور في ظروف غامضة بعد إصابته بالاكتئاب، لتنتقل بعدها للممثل بول ووكر الذي توفي في حادث سرعة مروع في العام ألفين وثلاثة عشر، ويفقد الباحثون أثرها مجددًا لتظهر من جديد في مصر، وتحصل عليها أنت دون سواك.

أتعلم يا عزيزي أن تلك المرآة مصنوعة بواسطة قبائل الأزتيك، وكانت تُصنَع من الزجاج البركاني الذي يطلق عليه الزجاج المدخن، وكان يرى أن الشياطين تستخدمها للعبور بين عالمنا والعالم السفلي، ومنذ مئات السنين، كانت ملك ساحر لعين من أقوى مستخدمي السحر الأسود عبر التاريخ الذي استغلها أسوأ استغلال، قبل أن تجذبه الشياطين لعالمها، وتحتجز روحه هناك. إن هذا الساحر بقدراته الشياطينية يستطيع الخروج لفترات محددة، ويحتل أجساد ضحاياه، ويحقق لهم أحلامهم التي تلصص عليها، واستمع لها وهم يقفون أمام المرآة بالساعات، وبعد أن تصبح الشهرة تجري في دمائهم، ولا يستطيعوا الاستغناء عنها، فيتجسد لك، ويطالبك بروحك لسداد ثمن الشهرة والنجاح اللذين تحصلت عليهما، سترفض وستبكي وتتوسل، وتحاول أن تجد أي مفر، ومن ثم ستكتئب وتنزوي، وتحاول أن تعقد معه اتفاقًا ما، ثم ستحاول الفرار، لكنه سيطاردك ويقتلك مثل كل من سبقك.

كان حسام قد امتقع وجهه حتى أصبح أشبه بالطماطم المخفوقة وهو يقول في فزع:

- لكني اجتهدت، وعملت بجد، وبذلت كل جهد، وحاولت أن أطور من نفسي، لا يمكن أن يكون السبب في نجاحي وشهرتي الأخيرة تلك المرآة اللعينة والروح الشريرة التي تسكنها، أينعم، هي مرآة أثرية وقد بيعت لي بثمن بخس، لكن بالتأكيد ليس نتيجة لتلك الهراءات والتخاريف التي تتفوهين بها.

قالت مكاشا بهدوئها المستفز ولم تفقد أعصابها هذه المرة، رغم إهانته لها ولحديثها:

- لنكن أكثر واقعية إن المرآة تعمل بشكل غامض يا عزيزي وهناك العديد والعديد من الأساطير حولها في مُختَلِف الحضارات والثقافات على مر التاريخ، فهي تعكس صورتنا من اليمين إلى اليسار، بمعنى إن حركت يدك اليمنى، سترَ يدك اليسرى تتحرك، إذًا فهي تعكس كل شيء، هكذا ستظن يا عزيزي، لكن لا، إن هذا غير صحيح، أولًا هي لا تعكسك مقلوبًا، رجليك إلى أعلى ورأسك إلى أسفل، هي فقط تعكس بشكل أفقي اليمين إلى اليسار واليسار إلى اليمين.

كما أنه يوجد سحر يدعى سحر المرآة اشتهر في العديد من دول إفريقيا وواحد من تخصصاتي العديدة حيث تكتب الطلاسم على المرآة من الخلف، ويعطونها للمرأة لكي تضعها في بيتها، فما إن ينظر زوجها فيها، حتى يسري فيه السحر فورًا، فيطيعها ويكون عبدًا لها، طالما ظلت هذه المرآة الملعونة في المنزل.

توقفت مكاشا عن الكلام عند هذه النقطة.

فتحدث مضيفنا قائلًا بلهجة العالم ببواطن الأمور:

- لقد رأيت برنامجًا وثائقيًا عن المرايا منذ بضعة أيام، كان يتحدث عن أن الساحرات في مكان يدعى ثيسالي في القرن الثالث الميلادي استخدمن المرايا السحرية، إذا كتبن عليها نبؤاتهن بالدماء، كما استخدمها العرافون الذين كانوا يقرأون الماضي

والحاضر والمستقبل، كما أنه كان يرى في الماضي أن المرايا تخزن ما ينعكس عليها للاستخدام لاحقًا، ولعل هذا أساس حكاية مرآة الأميرة بياض الثلج الشهيرة.

أكملت من بعده الفتاة الشابة متحدثة لأول مرة:

- لقد سمعت أيضًا من صديقاتي عن قصة ماري الدموية التي هي جزء من التراث الأمريكي ولعبة مخيفة شهيرة في الغرب، لقد لعبتها مرة مع صديقاتي، عندما كنت أصغر سنًا حيث نذهب إلى الحمام، ونغلق بابه، ونردد عبارة ماري الدموية ثلاث مرات. حينها ستقفز ماري له من المرآة، ولقد شاهدت أيضًا في أفلام العصر الفيكتوري أنهم كانوا يغطون المرآة لدى وفاة أي شخص وقبل جنازته حتى لا تحتجز روحه في إحداها.

قال حسام وكان قد تملكه الرعب والخوف تمامًا:

- وما الحل الآن؟

قالت مكاشا وهي تحدق في عينيه مباشرة:

- لقد كنت محظوظًا جدًا بمجيئك اليوم، ما زالت أمامك فرصة، طالما لم يتجسد لك هذا الساحر حتى الآن، لأن بعد تجسده يكون الأوان قد فات، ولا سبيل للقضاء عليه بأي طريقة، ويجب عليك سداد الدين، إذا أردت أن تنجو من هذا الساحر، فالحل هو النيران، أشعل يا عزيزي النيران بها، النار دواء كل الشرور وإلا مصيرك سيكون الموت بعد بضعة شهور.

قبل أن تكمل قائلة في آلية ودون أي مشاعر:

- والآن من سيكون التالي؟

قبل أن توجه نظراتها نحوي وإلى الفتاة الشابة، فنحن الآخرون المتبقون، دون أن تنهال نبؤاتها الكابوسية على رؤوسنا حتى الآن.

قالت الفتاة في حماس غير مبرر خصوصًا بعد كل ما سمعته عما ينتظر سابقينا.

- أنا يا سيدتي.

التفتت إليها مكاشا وهي تقول بهدوء:

- حسنًا يا صغيرتي، والآن فلتبدأ رحلتك.

######

نانسي حسن الشميسي
العمر أربعة وعشرون عامًا

خريجة الجامعة الأمريكية، الابنة الصغرى بعد ثلاثة من الأبناء الذكور لرجل الأعمال حسن الشميسي، بالغ والداك في تدليلك مما جعلك مستهترة ومتكبرة ومغرورة، تملكين ثروتك الخاصة التي منحها إياكِ والدك غير ما تملكين من حلي ومجوهرات ثمينة.

ظهر في حياتك منذ ستة أشهر مهندس بترول يعمل في الكويت يكبرك بعشر سنوات استطاع أن يجذبك إليه، ويتحمل حماقاتك وسخافاتك لتقعي في حبه حتى النخاع، ويتقدم لوالديك، وتبدأا في إجراء ترتيبات الزواج، ليقام زواجكما المفترض بعد أسبوع من الآن، وتسافري معه إلى الكويت. حياة جميلة، سعيدة وممتلئة بالحب. أليس كذلك يا صغيرتي؟

أومأت الفتاة لها برأسها موافقة وهي تبتسم في سعادة وتقول:

- لكنني لست مستهترة، وسأثبت للجميع هذا.

ضحكت مكاشا في سعادة وهي تقول:

- بالتأكيد يا عزيزتي، لكن قصتك لم تنتهِ بعد.

ما لا يعلمه أحد سواي وما فاتكم ملاحظته جميعًا يا عزيزتي أن عائلة زوجك المستقبلي خالية من السيدات، إن والدته متوفاة وزوجة عمه كذلك وهو ابن وحيد ليس له أخوات، أتعلمين لماذا يا عزيزتي؟

هزت نانسي رأسها بالنفي.

فأكملت مكاشا قائلة:

- بالتأكيد، لا تعلمين. حسنًا سأخبرك يا صغيرتي ما يمليه علي ضميري، جميع زوجات هذه العائلة تلد طفلًا واحدًا ذكرًا، ثم تموت في أثناء أو بعد الولادة لسبب أو لآخر، إنهم يختارون الزواج بفتيات ثريات لكي يرثهن أولادهن الذكور بعد وفاتهن، ويعشن في كنف ثرواتهن.

ضحكت في سخرية واستهزاء وأنا أقول:

- إنها بالتأكيد مصادفة، هل وفاة زوجاتهم أصبحت جرمًا يستحقون العقاب عليه أو دليل على أنهم قتلة، هناك عشرات الأسباب الطبيعية للوفاة في أثناء الولادة أو بعدها، رغم تقدم الطب، لا أرى أن ما تقوليه صحيح.

قالت مكاشا في هدوء تحسد عليه وهي تزوي ما بين حاجبيها في امتعاض:

- أكثر من عشرين وفاة في أجيال مختلفة وكلها من فتيات من عائلات ثريات بعد حدوث الحمل خلال السنة الأولى من الزواج، ومن لا تحمل طبيعيًا منهن، تلجأ لإجراء عملية الحقن الصناعي لها واختيار نوع الجنين ليكون ذكرًا كذلك، أرى أن الأمر يثير الريبة، وتجاوز حيز قانون المصادفات بالفعل.

قبل أن توجه حديثها لنانسي وتكمل قائلة:

- إذا كنتِ تريدين تحمل المخاطرة، فخاطري. إنها حياتك أنت

التي على المحك، وليست حياة أحد آخر على كل حال يا عزيزتي.

القرار قرارك والأمر عائد تمام لك، أنا أخبرتك فقط بما رأيته في بلورتي وما ينتظرك خلال الأيام المقبلة.

قبل أن تلتفت إلي وتقول:

- والآن لم يبق غيرك يا سيدي، لم يعد بإمكانك تأخير رحلتك أكثر من ذلك. فهل ستبدأ رحلتك أم أن لديك رأي آخر؟

قمت من جلستي وأنا أعدل هندامي وأقول في حزم:

- لا، لن أبدأها، وشكرًا جزيلًا لك. سأنصرف الآن، ولا أريد أن أعلم ما يخبئه لي الغد خصوصًا بواسطتك، أنت مثلك مثل كل الدجالين تلعبين على قانون المصادفات اللانهائية التي قد يصدف حدوث بعض ما قلتِه، وبالتأكيد لن يصدف أغلبه، مع بعض العبارات الرنانة وتفاصيل حياتنا التي نظن أنه لا يعلم عنها أحد سوانا أنك تلعبين على مخاوفنا وشكوكنا وخوف الإنسان اللاإرادي مما يخبئه له المستقبل، أن أقدرنا قد كُتِبَت بالفعل وما سيحدث لنا لا بد من حدوثه، ولا توجد وسيلة لمنعه أو تغييره.

توقف بضع ثوان لالتقاط أنفاسه، ويرتب أفكاره، قبل أن يكمل قائلًا في غضب:

- كما أننا لا نعلم على ماذا كان يحتوي هذا الشراب، فالأغلب أنه شراب مهلوس يهيئنا لظروف تجعلنا نصدق أكاذيبك، ونرى أشكال وصور تظهر في تلك البلورة نظن أنها لأناس نعرفهم.

قال الدكتور أحمد في توتر وتردد:

- لكنها تعلم حتى عن الأشياء التي لم نخبرها لأحد سوى أنفسنا.

نظرت إليه في غضب وأنا أجيبه قائلًا:

- هذا ما تظنه أنت أو ما هيئ لك، سأنصرف الآن، وأتمنى من كل الجالسين ألا يثقوا في كلام هذه السيدة.

قبل أن ألقي عليهم التحية، وأستعد للمغادرة، لكن استوقفني صوت مكاشا القادم من خلفي وهي تقول بلهجة مفعمة بالغل والتشفي:

- أنت بالذات ما سأخبرك به لا يحتاج إلى بلورتي. هل تعلم لماذا؟ لأن زوجتك أتت إلي بنفسها منذ أسبوعين.

استدرت إليها في غضب وذهول، لكنها أكملت قائلة:

- زوجتك كانت منهارة، إنها تعلم بخياناتك المتكررة لها وتهميشك وتحقيرك لها وجعلها أضحوكة بشكل دائم وسط صديقاتها اللاتي يتناقلن مغامراتك العاطفية، كانت تريد الانتقام منك بأي طريقة ممكنة، ولهذا اقترحت عليها سحر الفودو الذي يعد أقوى مجالات خبرتي، لهذا أحضرت لي صورتك وخصلة صغيرة من شعرك، وأعددت لها دمية تمثلك تمامًا وبها خصلة شعرك، الجميل والمدهش في الأمر أن أي ضرر سيلحق بهذه الدمية سيلحق بك بالتبعية، إذا كسرت ساق الدمية، ستكسر ساقك، وإذا دق عنقها، سيدق عنقك. إن زوجتك تكرهك بشدة، وترغب في إيذائك، وللأسف الدمية أصبحت في حوزتها بالفعل، وأنت وحياتك

أصبحتا ملك يمينها وتحت رحمتها، ولا يمكنني مساعدتك وتحريرك من هذا السحر دون الحصول على الدمية مجددًا، لكن بلورتي تخبرني أنك لن تتمكن من هذا، لأنك ستقتل زوجتك بعد أسبوع من الآن، وستسجن بعدها.

أنت بالتأكيد لا تصدقني، ولا تثق بكلامي، وهذا حقك، لكن لو كنت أنا بموضعك، كنت سأبحث عن الدمية في متعلقات زوجتك حتى تجدها، وعندما تجدها، أحضرها وأسرع بالمجيء لي، فقد أتمكن من إنقاذك من مصيرك المظلم الذي ينتظرك.

قبل أن تدق بقبضتها المضمومة على المنضدة أمامها ثلاث دقات سريعة متتالية، لتنير إضاءة الغرفة على نحو مفاجئ أغشى عيوننا التي اعتادت الإضاءة المنخفضة طوال جلستنا التي استمرت لما يزيد عن الساعتين.

قبل أن تقول مكاشا أخيرًا.

- والآن انتهت جلستنا، أتمنى لكم مصائر سعيدة، وتذكروا أنكم محظوظون، لأن سيدة مكاشا في صفوفكم، وأخبرتكم بما سيكون.

######

بعد هذه الليلة الغريبة، انصرفت وذهبت إلى منزلي، وفي الصباح التالي، استيقظت مبكرًا كعادتي، كان نومي متقلقلًا ومتقطعًا، طاردته الكوابيس التي احتلت تلك الدجالة معظمها، ذهبت مسرعًا إلى المستشفى لإجراء بضع عمليات، ومن ثم إلى العيادة في روتيني اليومي الاعتيادي، كان يومي مشغولًا، وتناسيت كل شيء، وامتدت بي ساعات العمل إلى ما بعد منتصف الليل، وأخيرًا بعد يوم طويل ومرهق التقطت جوالي، وبدأت في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي، لأجد في انتظاري عددًا من الصفحات الإخبارية تنشر خبر حدوث جريمة قتل والجاني شخص كان معي بالأمس في مثل هذا التوقيت. إن سيدة الأعمال والمجتمع جيهان إسماعيل قد قتلت زوجها، توترت أعصابي، وتصببت عرقًا وأنا أقرأ تفاصيل الخبر المروع الذي كان كالتالي:

عند عودة رجل الأعمال سعد المليجي إلى منزله بعد رحلة عمل بالخارج، أطلقت عليه زوجته ست رصاصات من مسدسه الخاص أصابته في عنقه وصدره، وتسببت في تهتك رئته اليمنى، ليلفظ أنفاسه الأخيرة على الفور، وقبل وصول الإسعاف، وقد أصيبت السيدة جيهان بانهيار عصبي، عندما اكتشفت أنها قد قتلت زوجها، وصرحت أنها لم تقصد قتله، لكنها كانت تدافع عن نفسها، لأنه لديها معلومات أن زوجها سيرسل في هذا الموعد قاتلًا لقتلها والحصول على أموالها، وبالطبع ليس هناك أي دليل على أقوالها، خصوصًا أن سعد المليجي من كبار رجال الأعمال والاقتصاد، وتشير التوقعات أن النيابة العامة ستوجه لها تهمة القتل العمد مع سبق

الإصرار والترصد والتي سيكون عقوبتها السجن المؤبد أو الإعدام.

ابتلعت لعابي في توتر وأنا أضغط على زر الاتصال في هاتفي المحمول لأتصل بالمنتج جلال الأسعدي الذي استضافنا بالأمس، رن الهاتف على الجانب الآخر مرتين، قبل أن يجاوبني صوت جلال المميز، فقلت له بمجرد إجابته علي:

- هل رأيت ماذا حدث؟ تلك اللعينة مكاشا تسببت في كارثة. جيهان قتلت زوجها ظنًا منها أنه القاتل الذي أرسله زوجها لقتلها كما أخبرتها تلك الدجالة بالأمس.

فاجأني صوته الهادئ وهو يجيبني:

- هذه نتيجة متوقعة لزنديق مثله وخائنة مثلها. كما أن هذا يثبت أن مكاشا دجالة كما قلت أنت مساء أمس، لذا لا تقلق على مصيرك، آسف يجب علي إنهاء الاتصال الآن لدي الكثير من العمل، إلى اللقاء.

قالها وأنهى الاتصال سريعًا، وتركني خلفه أعاني التفكير والقلق والشعور بالذنب الذي يعتصر صدري كأفعى تلتف حوله، وتضغط عليه بلا هوادة ولا رحمة، وبعد ذلك، توالت الأخبار المزعجة بشكل يومي، فانتشر خبر على كل صفحات التواصل الاجتماعي بفسخ خطوبة الآنسة نانسي الشميسي ابنة رجل الأعمال حسن الشميسي وبنت أخت المنتج السينمائي المعروف جلال الأسعدي من خطيبها مهندس البترول والذي كانت قد ارتبطت به مؤخرًا بعد قصة حب كانت حديث السوشيال ميديا خلال الشهور الماضية، وكان مزعم

عقد قرانهم في نهاية الأسبوع الجاري، وقد صرحت الآنسة نانسي الشميسي أنها ستغادر البلاد قريبًا برفقة خالها المنتج جلال الأسعدي، وبشراكته ستستعد لضخ الكثير من الأموال والدخول لعالم الإنتاج السينمائي بقوة، كما أنها ستدخل عالم الموضة خلال الفترة القادمة، وستطلق أكثر من علامة تجارية ستثير الكثير من الضجة، وأن كل هذه المشاريع كانت تخطط لها منذ فترة، لكنها تأجلت بسبب مشروع زواجها المُلغى، وأنه حان وقت إطلاقها الآن، وأن موضوع الارتباط أصبح مؤجلًا لها في الوقت الحالي تمامًا.

وفي اليوم التالي، انتشر خبر اشتعال النيران في منزل الممثل المغمور حسام نور الدين الذي بزغ نجمه مؤخرًا، وكان قد تعاقد على بطولة فيلم لتكون أول بطولة مطلقة له، قبل أن تتواتر أخبار خلال اليومين الماضين بأن المنتج جلال الأسعدي قد قرر إنهاء التعاقد بينهما دون إيضاح أسباب ذلك، وأنه يبحث عن نجم من الصف الأول للقيام بدور البطولة بدلًا منه، وقد أودى الحريق بحياته، واحترق منزله بالكامل على أثره، وأشار تقرير المعمل الجنائي إلى أن الحريق به شبهة جنائية وتعمُّد، حيث إنه توجد آثار لمواد قابلة للاشتعال منتشرة في أرجاء المنزل، وصرح لنا مصدر رفض ذكر اسمه من المقربين للممثل القتيل حسام نور الدين بأنه كان قد دخل في نوبة اكتئاب حادة خلال اليومين الماضين خصوصًا بعد فسخ عقد فيلمه الجديد، ولهذا فمن المرجح أن يكون من أشعل الحريق بدافع الانتحار.

أخذ عقلي يهدر داخلي رأسي مثل طاحونة هولندية تدور بسرعتها القصوى بداخل عاصفة هوجاء، كنت أعرف أن حسام بالتأكيد قد تأثر بقصة مكاشا، فهل حاول فعلًا حرق تلك المرآة كما نصحته تلك اللعينة، ومن ثم امتدت النيران إلى باقي المنزل، أم أنه حاول الانتحار فعلًا بعد أن فسخ عقد الفيلم معه، ولماذا فسخ جلال عقد الفيلم معه، لو كان مقتنعًا فعلًا بموهبته التمثيلية بهذه السرعة، ولم يمنحه فرصته كاملة؟

ثم أخيرًا مساء أمس أتى خبر انتحار مدرس بكلية الآداب حصل على الدكتوراة، وعاد من إنجلترا مؤخرًا، حيث عثرت عليه والدته مشنوقًا داخل حجرته في منزلهم الخاص.

هذا وقد صرحت والدته أن ابنها يعاني مرضًا نفسيًا منذ طفولته، وأن هذا المرض

متوارَث في العائلة، وأنه قد توقف عن تناول أدويته في الآونة الأخيرة في أثناء وجوده في إنجلترا خلال الأشهر الأخيرة من بعثته وبعد عودته من هناك، استمر على المنوال نفسه، خصوصًا بعد رفض إحدى زميلاته له والتي تقدم أكثر من مرة لخِطبتها، مما أدى لتفاقم حالته، ودفعه للانتحار.

ها هو الدكتور أحمد أيضًا كان مريضًا نفسيًا، ولم يخطب يومًا زميلته كما قالت مكاشا، ووافقها هو. إذًا فكل ما كان يحدث له كان مجرد تهيؤات أو أحداث غير حقيقية صورها له عقله المريض غالبًا.

يا لها من سلسلة من الأخبار الكارثية، لكن هذا يثبت أن مكاشا

هذه نصابة لعينة، لقد استغلت معلومات عادية عنا زودها بها غالبًا جلال الأسعدي لغرض في نفسه، فهو الوحيد الذي يعلم عنا الكثير، بينما استغلت هي مخاوفنا وهواجسنا، وأزكت نيران الكراهية والفتنة بداخلنا.

فأوحت لجيهان أن زوجها يعلم بأمر خيانتها، وأنه يخطط لقتلها، لتتسبب فإنها تقتل زوجها.

وحسام نور الدين كان ممثلًا فاشلًا عديم الثقة في نفسه وقدراته، فأوحت له أن المرآة السبب في نجاحه وقد صدقها هو، ومن ثم أصيب بالاكتئاب خصوصًا بعد أن فسخ جلال عقد الفيلم معه على نحو مفاجئ غير مبرر، فجن جنونه، وأشعل النار في المرآة وفي نفسه.

وأحمد كان مريضًا نفسيًا يشعر بالاضطهاد ومصابًا بالهلاوس، وتوقف عن تناول أدويته، فبدأت الهلاوس تفعل أفاعيلها بعقله، وتخيل أنه يتحول لشخص آخر، وبعد ما قالته له مكاشا، تشجع على الانتحار وإنهاء حياته.

ونانسي شخصية مترددة ومستهترة، لا تتحمل المسؤولية، يبدو أنها كانت تبحث عن أي مبرر لتنهي خِطبتها.

لكن ماذا عن جلال الأسعدي، هناك علامة استفهام كبيرة حوله أيضًا. خصوصًا بعد رد فعله، عندما اتصلت به، وأخبرته بما حدث لجيهان ونبرة التشفي والهدوء في صوته كأن ما حدث لم يفاجئه، بالإضافة إلى أنه العامل المشترك الوحيد بيننا جميعًا، ربما كان يريد

الانتقام من جيهان وزوجها، وربما يكون أراد التخلص من حسام نور الدين لسبب أو لآخر، فهو الذي منحه الأمل، وجعله يظن أنه ممثل جيد، ثم قتل بعد ذلك كل أمل لديه، عندما فسخ عقد الفيلم معه، لماذا فعل ذلك ولم يمنحه الفرصة كاملة؟ إن الأصعب من فقدان الأمل أن تمنح أحدهم الأمل، وتذيقه طعم النجاح، ثم تنهي كل آماله فجأة ودون مسببات، وها هو تسبب أيضًا أن تفسخ بنت أخته خطوبتها، ثم يستعد للسفر معها وشراكتها لإطلاق العديد من المشاريع المختلفة، فربما يكون من جعل مكاشا تخبرها بما أخبرتها إياه حتى تفسخ خِطبتها، ويتمكن من إقناعها بشراكته باعتبار أنه من أنقذ حياتها وأنقذها من الفخ الذي كانت ستقع فيه كما أقنعتها تلك الدجالة.

إذًا قد أكون أنا الوحيد الذي نجوت من شرورها، إن ميكاشا شيطانة.. شيطانة من الإنس تبث شرورها في نفوسنا، لتدفعنا للقتل والانتحار.

وذلك الوغد جلال، لقد أصبحت متأكدًا أنه من خلف كل هذا لتحقيق مصالح شخصية وربما الانتقام من أشخاص بعينهم، لكن لماذا دعاني. حتى يكون هناك شخص قد استمع لكل ما تفوهت به مكاشا من هراء حتى أكون شاهدًا على ما حدث، أم ليصبغ صبغة الواقعية على تلك الخدعة.

كادت رأسي أن تنفجر، فرفعت سماعة الهاتف، وطلبت من السكرتيرة إبلاغ المرضى أني متعب قليلًا وتأجيل كل الفحوصات للغد، قبل أن أستقل سيارتي من أمام المستشفى، وأقود عائدًا

لفيلتي بدلًا من العيادة، أنا بالفعل أعاني إرهاقًا وصداعًا غير مبرر في الآونة الأخيرة، وهنا طرأ على رأسي سؤال ما، هل يمكن فعلًا أن تكون زوجتي قد ذهبت لها؟ إن قدرتها على قراءة المستقبل هراء بالفعل، والأحداث التي حدثت تثبت هذا، إن علم الغيب لا يعلمه سوى الله -سبحانه وتعالى- وأقدارنا مكتوبة بالفعل، لكن السحر الأسود والأعمال السفلية، فهي موجودة بالفعل، إن شر الإنسان أشر الشرور والرعب الحقيقي، وطاقة الشر بداخل مكاشا قد تجعلها تفعلها بالفعل، بالإضافة إلى أن سحر الفودو موجود بين قبائل أمريكا اللاتينية منذ عشرات السنين، يجب أن أبحث عن هذه الدمية حتى يطمئن قلبي.

كنت قد وصلت لفيلتي، وركنت سيارتي في القراج، وأخذت أقفز درجات السُلَّم قفزًا حتى صعدت لحجرة نومي أنا وزوجتي، وأخذت أفتشها، وأبحث بداخلها في جنون عن أي شيء مريب.

أبحث

وأبحث.

حتى وجدتها.

دمية قماشية بدائية تشبهني لحد ما على حجم مصغر مثبت عليها صورتي وخصلة من شعر رأسي، يا للشيطانة لقد فعلتها حقًا.

وزوجتي تلك اللعينة لقد جرؤت وفعلتها، سأقتلها، أقسم بالله لسوف أقتلها.

لكن لا. إذا فعلت هذا، سأكون قد حققت نبؤتها، أقتل زوجتي،

وأسجن، إذًا سأطلقها وأعيدها للفقر مجددًا.

لكن الأول سأتصل بذلك الوغد جلال، سأخبره أني قد اكتشفت مخططه، سأهدده بإبلاغ الشرطة، يجب أن أصل لمكاشا فورًا.

مسكت الدمية بحرص بالغ وأنا ألتقط هاتفي المحمول، وأبحث عن رَقْم جلال، خرجت مندفعًا من الحجرة وأنا أنظر في شاشة جوالي، لكني تعثرت بطرف السجادة، ليختل توازني، حاولت أن أستعيد توازني مجددًا وأنا أتراجع بظهري للخلف قليلًا، لكني اصطدمت بإفريز السلم ليختل توازني مجددًا.

ويهوى جسدي من الدور الثاني.

حاولت أن أتشبث بأي شيء.

لكني لم أستطع، لتفلت أصابعي الدمية لتسقط أرضًا، وأنا أهوى من حالق خلفها.

وأسقط أرضًا

جثة هامدة

ومحطمة.

######

ما خلف الكواليس.

بعد مضي شهر،

ارتفعت طائرة مصر للطيران المتجهة للندن في سماء مطار القاهرة، قبل أن تضيء اللمبة التي تشير لأن فك أحزمة الطيران صار أمنًا وإلى أن الطائرة قد استقرت بالفعل في مسارها.

بدأت المضيفة في التحرك في الممر بين الكراسي لركاب الدرجة الأولى، قبل أن تشير إحدى الراكبات للمضيفة، وتستأذنها في إحضار نسخة من الجريدة اليومية، التقطتها وهي تشكرها، وتبحث بعينيها عن خبر محدد بصفحاتها، لم تكد عيناها تسقط عليه حتى ابتسمت في سعادة، قبل أن تطوي الجريدة على الخبر، كانت الراكبة طويلة القامة سمراء البشرة واسعة العينين ذات ملامح شرقية جميلة، قبل أن تتراجع بظهرها، وتستند على الكرسي، وتسبح بذكرياتها بعيدًا لأكثر من عشرين عامًا.

في العام ١٩٩٩ م

عندما كان عمرها ثمانية عشر عامًا وما زالت طالبة في كلية التجارة، وأصيب والدها بسرطان الرئة، تذكرت كيف انهار عالمها، وتحطمت أحلامها على صخرة الواقع المرير، لتصبح العائل الوحيد للأسرة من بعده، لأنها أكبر أخواتها الخمسة، تتذكر الآن كيف تخلى سعد المليجي عن والدها الذي كان يعمل عاملًا بسيطًا في أحد مصانعه وفصله من العمل ورفض دفع أي معاش له أو مكافأة نهاية الخدمة.

تذكرت بكاء والدتها وتوسلها لسعد المليجي وهي تبحث عن قوت أولادها الخمسة بلا فائدة، وكيف صفعها سعد المليجي وضربها، عندما انفعلت لحق أخواتها، قبل أن يلقي بها هي ووالدتها خارج شركته.

تذكرت كيف بحثت عن أي وسيلة لعلاج والدها بلا فائدة، أخذت تتنقل بين المستشفيات والإدارات الصحية تبحث عن العلاج على نفقة الدولة. حتى ظهر ذلك الطبيب الشاب الوسيم إبراهيم عباس الذي أقنع والدتها أنه سيتمكن من إدخاله المستشفى وتيسير إجراءات العلاج على نفقة الدولة مقابل مبلغ من المال.

حاولت والدتها توفير أي مبلغ بأي شكل من الأشكال وكيف نهرتها السيدة التي كانت تعمل لديها في منزلها زوجة العميد السعيد النجراوي، ووبختها، تذكرت الطبيب إبراهيم عباس وهو يضحك في سخرية، عندما أحضرت له والدتها ألفين قنيه الذين تمكنت من توفيرها بمساعدة أولاد الحلال، تذكرت كيف طلب ذلك الطبيب من والدتها رشوة جنسية، وراودها عن نفسها، وكيف عندما رفضت والدتها، طردها وأقسم أن زوجها لن يتلقى علاجًا أبدًا، وبعد بضعة أيام توفي والدها على فراشه في منزله وسط حسرتهم ودموعهم.

التقطت منديلًا ورقيًا، ومسحت دموعها التي انسابت من عينيها وهي تتذكر كل ما مرت به، وتعتدل في جلستها وهي تستعيد بقية ذكرياتها.

تتذكر كيف لم تعد والدتها تقوى على العمل في المنازل

وتدهورت صحتها بعد وفاة والدها، وكيف توسلت لزوجة العميد السعيد النجراوي لتعمل لديهم بدلًا من والدتها. وكيف مع مرور الأيام تقرب منها العميد السعيد وأحبها وأغدقها بالهدايا، وأقنعها بالزواج العرفي به.

كم أحبته رغم فارق السن الكبير بينهما وكم كان يحبها هو، وكيف شعرت أخيرًا بالأمان وأن الحياة ابتسمت لها خصيصًا، عندما علمت بخبر حملها منه، ولكن القدر لم يمهلها كأنها لا تستحق أن تكون سعيدة سوى بضعة شهور، فتوفي زوجها في إحدى مهامه، وقبل أن يوثق زواجهما كما كان ينتوي.

وعندما علمت زوجته، عندما أخبرها محامي الأسرة بعد وفاة زوجها، وأن له زوجة حامل، ويجب أن ينتظروا ولادتها قبل تقسيم الميراث، فوجئت بها أمامها في المنزل الذي استأجره لها ومعها امرأتين آخريتين. وكيف تحولت هذه السيدة الاستقراطية لوحش كاسر، وحبستها بالمنزل وهددوها واعتدوا عليها بالضرب حتى أجهضت جنينها، ومن ثم طردوها وألقوا بها في الشارع.

أخبرها الأطباء في المستشفى أنها فقدت جنينها، واضطروا لإزالة رحمها نتيجة للنزيف الحاد الذي كانت تعانيه، وكيف فقدت فرصتها لتكون أمًا للأبد.

بعد كل هذا، لجأت لجارتها وصديقتها التي كانت تصغرها بثلاثة أعوام جيهان إسماعيل خصوصًا بعد أن علمت أنها تزوجت سعد المليجي، وفتحت لها أبواب الثروة، وظنت أنها ستقنع زوجها

بتشغيلها، وأعادت مستحقات والدها لها، لكنها لم تكن عند حسن ظنها، وبالعكس تنكرت لها، وهددتها وطردتها.

تذكرت ذلك الشاب الذي كان حلمه أن يصبح ممثلًا، وتعرفها واحتواها واحتضنها ووعدها بالزواج، أقنعها أنه سيجعل منها نجمة، وأنها ستكون مفتاح دخوله ودخولها لعالم النجومية معًا، تذكرت كيف قدمها على طبق من فِضة للمخرجين والمنتجين وأنصاف النجوم، لينهشوا في لحمها بدعوى الفن والنجومية.

تذكرت كيف تعددت زيجاتها العرفية والرسمية على مر السنوات من كل الأصناف والجنسيات، حصلت من البعض على الأموال ومن البعض على المجوهرات، وكونت ثروة لا بأس بها، حتى تعرفت المُنتِج جلال الأسعدي، كانت قد أصبحت في وضع مادي متوسط وجميلة وذات دلال، كان مثل باقي الرجال يريد استغلال جسدها، تمكنت من إيقاعه في براثنها، وبخبرتها الطويلة بالرجال وبصنوف الحب، سيطرت عليه تمامًا، لتتلاعب به، وفتحت له قلبها، وقصت على مسامعه كل ما حدث لها ومر بحياتها على مدار السنوات الماضية، أخبرته برغبتها في الانتقام منهم جميعًا، وتمكنت من إقناعه، ليتحمس لفكرتها، كان يعتبر كل شيء لعبة، وكان يستمتع بخداع الجميع، ومعًا وضعا خطتهما.

استغل علاقاته، وتقرب من الطبيب إبراهيم عباس الذي كان السبب في وفاة والدها بفساده، وقوى علاقته بسعد المليجي وزوجته التي كانت صديقتها يومًا ما، قبل أن تطردها خارج حياتها الجديدة شر طردة، تقرب كذلك من الممثل الذي استغلها، وأقنعه

أنه سينتج له العديد من الأفلام، حتى ابن تلك السيدة المتغطرسة وزوجة اللواء..... والتي تسببت في قتل جنينها واستئصال رحمها، أخذ يمده بالعقاقير المُهَلوِسة التي ساعدت على زيادة جنونه وتفاقم سوء حالته النفسية، راقب الجميع وعلم أسرارهم، وكان الباقي سهلًا، بعض المكياج من خبير تجميل محترف والديكورات والمؤثرات الصوتية والبصرية ومع المعلومات التي جمعوها عن كل شخص، لتصبح العرافة مكاشا، وتنتحل شخصيتها، والآن أصبحوا مستعدين لارتكاب الجريمة الكاملة، وليست جريمة واحدة بل سلسلة من الجرائم.

أحمد السعيد يأخذ حبوب الهلوسة ومصاب بالتهيؤات وضعيف نفسيًا، وكانت النتيجة أنه قتل نفسه، وحرق قلب والدته على فلذة كبدها، كما قهرتها وحرقت قلبها على جنينها. وها هي الآن ترقد في العناية المركزة في أحد المستشفيات بعد إصابتها بسكتة دماغية بين الحياة والموت لا تملك من أمرها شيئًا.

جيهان خائنة تريد قتل زوجها وإخبارها أنه يعلم ويخطط لقتلها وأنها يجب أن تقتل القاتل، وتنقذ حياتها، قبل أن يقتلها هو، وهكذا أصبحت المعادلة بسيطة، وكانت نتائجها إما أن تقتل نفسها، أو تقتل زوجها، وإما أن يقتلها هو، وفي كل الحالات، ستكون قد حققت انتقامها.

الممثل حسام نور الدين منحه المنتج جلال الأسعدي الأمل، ليحقق حلم عمره، وظن أنه سيصبح نجمًا أخيرًا ذلك القَواد الفاسد كان يؤمن بالشعوذة والأبراج، ويهوى جمع التحف، أقنعناه أنه

فاشل، وأنه لن يحقق أي نجاح، ولم يتطلب منا هذا الكثير من الجهد، لأنها كانت الحقيقة بالفعل، وكانت الاحتمالات إما أن يجن أو يقتل نفسه بطريقة أو بأخرى، وإما أن يموت بفعل جرعة مخدرات زائدة.

الطبيب إبراهيم عباس كنا نخطط لتشكيكه في زوجته، ليقتلها ويسجن أو يعدم، لهذا دفع جلال المال للخادمة حتى تُخفي تلك الدُمية في حجرته، لنقنعه بقصتنا، لكن الحظ كان بجانبنا، فاختل توازنه، وسقط ميتًا.

حتى تلك الصغيرة نانسي الشميسي لقد استغلينا قصتها لإضفاء المصداقية وإقناعهم أن الأمر واقعي وحقيقي، كما أن تحرياتنا أثبتت أن ذلك العريس وغد حقيقي، وكان ينتوي الاستيلاء على أموالها بعد الزواج، وهكذا اكتسب جلال ثقتها هي وأباها، ليستغل هذه الثقة ليستولي على جزء لا بأس به من أموالهم بحجة إنشاء شركتهم في لندن والتي استوليت عليها بالتبعية لتصبح كل الأموال في حسابي البنكي الخاص الآن.

وها أنا أغادر البلاد ولا أحد حتى جلال الأسعدي الذي قُبِض عليه اليوم بتهمة اختلاس الملايين وسرقتها من شركة نانسي وأبيها تحت ادعاء إنشاء شركته الوهمية، هذا الخبر الذي كنت أنتظر قراءته في الصحف اليوم.

كلهم كانوا أوغادًا حُقَراء شهوانين يملأ نفوسهم الطمع والكره، لقد أشعلت فقط في نفوسهم المريضة نيران الخوف والقلق،

ليقضوا بأنفسهم على أنفسهم.

لا أحد يعلم شخصيتي الحقيقية، ولا اسمي الحقيقي ومن كان يعلمها، فقد مات، ولن يجرؤ جلال على ذكر أي شيء للشرطة حتى لا يتورط في جرائم احتيال ونصب وقتل، ولن تصدقه نانسي أو والدها أبدًا، هذا لو منحه والد نانسي الفرصة للحديث أصلًا.

لقد حققت انتقامي أخيرًا الذي انتظرته لسنين طوال.

سوف أختفي للأبد ومعي ملايين الدولارات.

وانتهى كل شيء

للأبد.

تمت

######

الكابوس الثالث

اللعبة

انطلقت السيارة ألمانية الصنع تشق طريقها مسرعة، كان السكون يعم الأرجاء خصوصًا أن الشمس كانت في طريقها للمغيب مبكرًا مع قرب قدوم فصل الشتاء، أضاءت قائدة السيارة كشافات سيارتها في محاولة منها لتبديد ظلام الطريق الذي كان يربط بين القاهرة وإحدى المدن الجديدة المنتشرة على الطريق الصحراوي. قائدة السيارة الطبيبة سالي السعيد في منتصف العشرينات قادمة من مستشفى القصر العيني حيث تقضي فترة نيابتها وفي طريقها لمنزلها بعد يومين من العمل الشاق المتواصل، كانت متوسطة الطول ممتلئة الجسد قليلًا، ترتدي بنطالًا من الجينز الأزرق وفوقه بالطو طويل ذي لون جملي، وترتدي غطاء رأس بني اللون، دقيقة الملامح ورقيقة التفاصيل، وفجأة، توقفت السيارة دون أدنى مقدمات على جانب الطريق، حاولت سالي إدارتها مرة ثم أخرى ثم أخرى بلا أدنى فائدة، يبدو أن السيارة قد أصابها عطل ما، التقطت هاتفها المحمول، وحاولت الاتصال برقم الطوارئ وهي تزفر بضيق، وتعبس ما بين حاجبيها، لكن للأسف لم يكن هناك أي إشارة في ذلك المكان في منتصف الصحراء.

توترت سالي وهي تقول في نفسها ماذا أفعل الآن؟

هل أظل بالسيارة وأنتظر قدوم أي سيارة أخرى؟

أم أغادر السيارة وأبحث عن أي منطقة سكنية مأهولة وقريبة

وفي نهاية الأمر، حسمت سالي أمرها، وغادرت سيارتها، كان الجو بالخارج باردًا بالفعل، فضمت البالطو إلى جسدها في محاولة منها لزيادة تدفئة جسدها الضئيل، وارتدت قفازاتها الجلدية السميكة، قبل أن تغلق سيارتها خلفها بإحكام، وتتحرك نحو تلك المباني التي تظهر على مرمى بصرها، كانت المسافة قرابة مائتي متر، وتوجد العديد من الفيلات التي تتكون من طابقين وذات الطراز المميز للمدن الجديدة، كانت معظم الفلل يغلفها الظلام، ما عدا فيلا وحيدة، كان هناك ضوء في إحدى غرفها في الطابق الثاني، تحركت سالي باتجاهها في سرعة وهي تضغط على زر الجَرْس المجاور للباب ضغطتين متتاليتين، سمعت صوت نباح كلب قادم من مكان ما من حديقة الفيلا، توترت أعصابها، قبل أن تدق الجرس بشكل متواصل، ونباح الكلب يتواصل ويقترب رويدًا رويدًا.

وفجأة، فتح باب الفيلا ليظهر خلفه وجه رجل في منتصف العقد الخامس من العمر، طويل القامة، متين البنيان، ذو ملامح جذابة لحد ما، نظر لسالي باستغراب وهو يقول بصرامة للكلب من نوع هاسكي:

- لاكي، توقف الآن.

توقف الكلب على الفور وهو يضع ذيله بين قدميه، ويتراجع للخلف بضع خطوات.

قبل أن يلتفت لسالي وهو يبتسم في رسمية قائلًا:

- أهلًا آنستي. كيف يمكنني مساعدتك؟

توترت سالي وهي تقول بصوت حاولت أن تجعله متماسكًا بقدر الإمكان:

- آسفة على الإزعاج، لكن سيارتي قد تعطلت على جانب الطريق على بُعد مائتي متر من هنا تقريبًا، وهاتفي الجوال لا يتمكن من الاتصال.

قال الرجل في ود:

- يا إلهي، يا له من موقف سخيف ومزعج بالفعل، لكن لا تقلقي، إنني أملك هاتفًا أرضيًا هنا، تفضلي يمكنك الدخول.

ترددت سالي لبضع ثوان، قبل أن تحسم أمرها، وتدلف للمنزل.

التقط الرجل سماعة الهاتف، وضغط بضعة أرقام في سرعة، لتسمع صوته وهو يقول:

- هناك سيارة معطلة عند الكيلو... في منطقة... ليتوقف عن الحديث، ويسألها بهدوء:

- ما نوع سيارتك يا آنستي؟

قالت له:

- أوبل. أوبل أسترًا.

وما اسمك من فضلك ورقم لوحة سيارتك؟

- سالي السعيد الدكتورة سالي السعيد محمد، ورقم لوحة السيارة د ل ع ٢٥٤

كرر الرجل خلفها المعلومات عبر الهاتف، قبل أن ينهي المكالمة وهو يقول:

- من الجيد أنني أنا من اتصلت بهم حتى أتمكن من إعطائهم العنوان بالتفصيل وبدقة، لكن للأسف إنهم لن لن يستطيعوا الوصول قبل ساعة على الأقل.

كررت سالي خلفه في توتر:

- نعم، إنه من الجيد فعلًا أنك من توليت مهمة إخبارهم بالعنوان. إنني لا أعلم ما اسم هذه المنطقة بالتحديد، لكن ساعة كاملة، لماذا كل هذا التأخير؟

قال لها الرجل وهو يدعوها للجلوس على الأريكة بغرفة المعيشة:

- لقد أخبروني أن هناك حادثة على الطريق للأسف، كما أننا في منطقة حديثة ومنعزلة، أنا مقيم هنا منذ عامين وأكاد أكون الوحيد الذي أقطن هنا.

- هل تقيم بمفردك إذًا؟

- نعم للأسف.

- ألست متزوجًا؟

- لا، علاقاتي مع النساء تشوبها العديد من المشكلات.

- العديد من المشكلات ماذا تعني؟

- إن إقامة علاقة عاطفية مع سيدة تتطلب الكثير من الجهد والوقت اللذين لا أملكهما في الوقت الحالي.

قبل أن يكمل قائلًا:

- هل ترغبين في احتساء كوب من مشروب دافئ، ماذا عن الشيكولاتة الساخنة؟

- حسنًا، لِمَ لا؟ سيكون هذا شيئًا جيدًا بالفعل.

تحرك الرجل ليختفي لبضع دقائق، ليعود حاملًا صينية فضية عليها كوبين من الشيكولاتة الساخنة.

كانت سالي قد غادرت مجلسها، ووقفت أمام مكتبه تتوسط حجرة المعيشة، كانت تنظر للعبة قديمة عبارة عن علبة وردية لها غطاء فضي متحرك أنيق.

قالت له سالي بهدوء:

- أليست هذه اللعبة لعبة موسيقية وبمجرد فتح الغطاء يصدر منها تلك الأغنية الشهيرة التي كانت حديث الساعة منذ عشر

سنوات تقريبًا.

- نعم بالفعل إنها أغنية مميزة محببة للنفس، لكن كيف عرفتِ هذه الأغنية؟

- إنها إصدار محدود، صدر لعدة شهور، قبل أن يتوقف، وكانت تأتي من الخارج خصيصًا بأعداد محدودة، لقد كان عندي مثيلتها منذ بضع سنوات أهدتها لي أمي في عيد مولدي، وكان اسمي محفورًا عليها.

وضع الصينية أمامها، قبل أن يختفي لثوان، ويعود حاملًا صينية بها بعض قطع البسكويت والكيك.

كانت سالي قد التقطت أحد الكوبين، وضممته بيديها لتدفئتهما.

بينما تناول الكوب الآخر، وأخذ يرتشف منه بهدوء وهو ينظر لها بتمعن، قبل أن يقول:

- ما تخصص حضرتك؟

قالت له في توتر وهي تشعر أنه يخترق جسدها بنظراته، ويتفحصها بدقة:

- إنني طبيبة بشرية ما زالت في فترة النيابة، لكنني سأتخصص

في جراحة الأعصاب -إن شاء الله-.

- ماذا عنك؟

- أنا مهندس بترول عملت لسنوات عديدة خارج البلاد، قبل أن أستقر هنا منذ ثلاث سنوات.

أومأ لها برأسه، قبل أن يقترب منها في حركة مفاجئة، فانتفضت وهي تبتعد عنه في فزع.

لكنه قال في هدوء وثقة:

- لا تخافي، نحن سنصبح صديقين.

حاول أن يقترب منها مجددًا، ويمسك بيديها، لكنها تراجعت في سرعة وهي تخرج مسدسًا من حقيبة يدها صوبته نحوه وهي تنظر له بتمعن وتقول بنبرة صوت قوية واثقة:

- سمير الدسوقي، مهندس بترول تبلغ من العمر ستة وأربعين عامًا، مطلق وليس لديك أطفال، ربما لأن زوجتك علمت مدى قذارتك.

تراجع للخلف وهو يقول في غضب:

- ماذا تقولين؟ هل جننتِ؟

أكملت حديثها قائلة:

- في مثل هذا اليوم منذ عشر سنوات اختطفت أختي التي كانت

تصغرني بثلاث سنوات، كان عمرها آنذاك اثني عشر عامًا، لقد رأيتك يومها، وكانت تحمل معها هذه اللعبة المحفور عليها اسمي.

قاطعها في سرعة قائلًا:

- إنك لمخطئة إن الاسم المحفور عليها ليس اسمك، إنه اسم زوجتي سهام محمد صدقيني، يمكنني أن أتصل لك بها حتى تتأكدي و....

قاطعته وهي تقول في سخرية:

- وهل ظننت أن اسمي سالي حقًا؟ إن اسمي الحقيقي سهام محمد بالفعل. الاسم المحفور على غطاء هذه اللعبة.

قالتها وهي تشير بيدها للعبة الموضوعة في المكتبة، قبل أن تكمل حديثها قائلة:

- لم توجه لك المحكمة الاتهام لعدم كفاية الأدلة، ولم تكن شهادتي كافية في وجود محاميك المحنك، بعدها اختفيت أنت وانهارت والدتي، ولم نعلم مصير أختي قط، لكنك عدت للظهور مجددًا منذ ثلاث سنوات، راقبتك وتأكدت، عندما نشرت الجرائد أخبار اختفاء تلك الفتاة في المنطقة حيث تقطن، ترددت كثيرًا، منعني ضميري وخوفي حتى حسمت أمري أخيرًا، وأتيت لك اليوم.

ضحك الرجل ضحكة عصبية وهو يحاول ألا يظهر فزعه:

- وهل تريدين معرفة مصير أختك؟ هل تظنين أنك ستخرجين من هنا حية؟ يا لك من ساذجة.

قالها وحاول أن ينقض عليها، لكنها تفادته في صعوبة، قبل أن يهوى على الأريكة ككيس من القطن، حاول أن يستعيد توازنه، ويقف مجددًا، لكنه لم يستطع، وانهار على الأريكة.

قال في خوف وغضب:

- ماذا فعلتِ بي أيتها اللعينة؟

ابتسمت سالي وهي تخرج من حقيبتها مظروفًا بلاستيكيًا يحتوي على بودرة بيضاء وهي تقول في تشف:

- آسفة هل تشعر بالمرض؟ إنه بسبب الجرعة الزائدة من اللورازيبام، أظن أن هذا أفضل مما فعلته بأختي. أليس كذلك؟

حاول مجددًا أن يستجمع قوته، ويستند على المنضدة، لكنه لم يتمكن من ذلك، فانهارت أسفل ثقل وزنه، لتتحطم ويسقط أرضًا.

ويقول بضعف:

- وماذا عن الطوارئ إنهم يعلمون رقم سيارتك؟

ضحكت سالي وهي تقول:

- إنك لم تتصل بهم قط، لقد ضغطت على الأرقام، ومن ثم قطعت الاتصال لتجري حوارًا وهميًا وعقلك المريض يخطط لانتهاز الفرصة التي أتت حتى باب منزلك، كنت تظن أنك ستغتصبني ومن ثم تقتلني مثل بقية ضحاياك، كما أنني أخبرتك مسبقًا أن كل المعلومات التي منحتك إياها معلومات وهمية لا أساس لها من الصحة.

قال في خوف وقد بدأت الدموع تترقرق في عينيه:

- وماذا عن أختك؟ لن تعلمي مصيرها أبدًا. أو أين دفنت؟

قالت سالي وهي تحاول أن تبدو متماسكة:

- لكنها ستشعر بالراحة في مثواها الأخير، عندما تعلم أني قد انتقمت لها منك، وهذا المهم.

قال في توسل وهو يبكي بالفعل:

- أرجوكِ، الرحمة.. الرحمة من فضلك.

قبل أن يفقد الوعي.

سحبته سالي خارج المنزل. أخذ الكلب ينبح، لكنه عندما رآها، وتعرف إليها، لزم الصمت، كانت قد أعددت خطتها، وحفرت حفرة على مقربة من منزله على مر بضعة أيام، وكانت قد اعتادت إلقاء

بعض قطع اللحم للكلب حتى آلفها واعتادها.

ألقته في الحفرة ليسقط على وجهه، قبل أن تدفنه، وتهيل عليه التراب، كانت تعلم في قرارة نفسها أنه ما زال حيًا حتى تذيقه عذاب الدفن حيًا.

قبل أن تعود للمنزل، وتلتقط حقيبتها واللعبة التي تحمل اسمها وآخر ما تبقى من ذكرى أختها الراحلة، وتضمها لصدرها، كانت طوال الوقت ترتدي قفازها الجلدي السميك تحسبًا لعدم ترك أي بصمات خلفها.

خرجت من المنزل، وأغلقت الباب خلفها، لتعود لسيارتها، وتديرها في هدوء، وتنطلق بها لتعود من حيث أتت.

ودموعها تنساب على وجهها.

واللعبة تعزف الأغنية المميزة بجانبها.

تمت

######

الكابوس الرابع

الجمجمة السوداء

العام ٢٠٢٢

القطب الشمالي

السفينة (أوشن ٣)

سفينة تجارية متعددة الجنسيات

الساعة ١٧:٤٥ دقيقة بالتوقيت العالمي

صوت خطوات تعدو مسرعة بتوتر عبر الردهة المؤدية لحجرة القبطان، قبل أن يفتح صاحب الخطوات باب القاعة بعنف ملحوظ متجاهلًا أبسط قواعد اللياقة والآداب العامة المتبعة، ليقول وهو يلهث محاولًا التقاط أنفاسه بصعوبة:

- سيدي، الشخص الذي التقطناه منذ ساعة من على قارب النجاة والذي كان تائهًا في المحيط منذ بضعة أيام، ويعاني الجفاف الشديد، ونُقِل للعيادة الطبية، ويتلقى العلاج الآن.

قال الشخص الأكبر سنًا بين الحضور والذي خط الشيب فوديه، وتبدو علامات الوقار والهيبة عليه:

- ماذا حدث له؟ هل توفي أم استعاد وعيه؟

قال صاحب الخطوات بسرعة:

- لا هذا ولا ذاك يا سيدي القبطان.

قال القبطان وهو يقطب ما بين حاجبيه في غضب:

- إذًا ما هذا الأمر العاجل الذي يستدعي اقتحامك علينا حجرة القيادة دون مراعاة أدنى قواعد اللباقة وقواعد النقل البحري؟

قال صاحب الخطوات في توتر:

- آسف يا سيدي، لكن ونحن نفحص متعلقاته وجدنا هذا القرص الصلب بداخل صندوق معدني ومكتوب عليه سري للغاية وخاص بمعامل أبحاث المناخ في زيورخ، أرى أنه لا بد لك من رؤيته.

قال القبطان ويبدو على ملامحه علامات التفكير:

- حسنًا، أرى أنه من الأفضل في هذه الحالة أن نعلم على ماذا يحتوي، قد يكون الأمر خطيرًا؟. أريد أن أراه على الفور.

تحرك صاحب الخطوات بسرعة ناحية شاشة متوسطة الحجم تحتل أحد جدران الغرفة، ليدس القرص الصلب في مكان مخصص له أسفل الشاشة، ليظهر على الشاشة صورة لرجل في منتصف الثلاثينات وسيم يرتدي منظارًا طبيًا تعرفه الجميع على الفور، فقد كان الشخص نفسه الذي عثروا عليه تائهًا وفاقدًا للوعي على متن قارب الإنقاذ، كان يبتسم في ثقة ويقول في سعادة:

- أنا الدكتور (مهند حسن) قائد الفريق العلمي في مستعمرة أبحاث المناخ وطبقات الأرض بالقطب الشمالي، اليوم هو الأول لنا في مهمة بعثتنا التي تهدف لمراقبة تقلبات المناخ ودراسة الآثار السلبية للاحتباس الحراري وتأثير هذا في طبقات الأرض بالقطب الشمالي.

مهمتنا ستستمر لثلاثة شهور، وكما ينص البروتوكول الخاص بنا فسأسجل تقريرًا بكل الأحداث بشكل يومي، ليتم إرسالها أسبوعيًا مع التقارير المكتوبة مع طائرة التوريدات إلى مركز القيادة الرئيس

في زيورخ نظرًا لعدم وجود أي اتصالات أو شبكات للتواصل، حتى اتصالات القمر الصناعي ضعيفة ومشوشة للغاية، وتستعمل فقط في حالات الطوارئ في هذه المنطقة غير المأهولة أو مكتشفة بالقطب الشمالي.

اليوم تسلم كل منا معداته وأدواته، وتسلم مهامه الواجب عليه تنفيذها خلال الأسبوع الأول بالغد -إن شاء الله- ستخرج أولى حملاتنا لفحص منطقة حرارية رصدناها يذوب الجليد بها بمعدل أسرع من باقي المناطق، وستضم الحملة أربعة من أفراد الفريق، وسأكون على رأسهم.

انتهى تقرير اليوم الأول ولنا لقاء آخر في الغد إن شاء الله.

توقفت الصورة لبضع ثوان، التقط فيها الحضور أنفاسهم، واعتدل القبطان في مجلسه، قبل أن يظهر وجه الدكتور مهند حسن مجددًا على الشاشة وهو يبتسم بسعادة قائلًا:

- تحياتي لكم أيها الموجودون بالمركز الرئيس، اليوم هو الثاني في حملتنا، لقد خرجت حملتنا اليوم نحو المنطقة الحرارية مصحوبة بكل الأجهزة والأدوات العلمية المطلوبة، لقد استغرقت رحلتنا ساعتين من الزمن، قبل أن نصل لتلك المنطقة النائية، أن درجات الحرارة هناك مرتفعة نسبيًا، وتزيد عن الصفر بدرجة أو درجتين في بعض الأحيان.

توقف عن الحديث لثوان وهو يبتلع ريقه، ويعدل وضع نظارته على أنفه، قبل أن يكمل حديثه:

- لكننا كنا سعداء الحظ جدًا، لقد وقعنا على اكتشاف جيولوجي جديد، من حسن حظنا أن في الفريق يوجد لدينا الدكتور (مارك هوزنبرج) السويدي العالم الجيولوجي الشهير، لقد وجدنا كهفًا أرضيًا كان مغطًا بالثلوج، وعندما انصهرت الثلوج، ظهر أمامنا بوضوح، أرى أن معظمكم يعلم أن الكهوف غير شائعة في القطب الشمالي.

لقد كان الدكتور (هوزنبرج) متحمسًا جدًا هو ومساعدته الهولندية الجميلة (آنا فان دايك) وقال إنه سيطلق عليه اسم عائلته، وإن هذا التكريم الأمثل له نظير ما قدمه من خدمات جليلة للعلم، على كل حال هذا أمر يعود لكم بالتأكيد، لكننا غدًا -إن شاء الله- سنعود بالأدوات المناسبة، وسنصحب دستة من العلماء معنا وأنا على رأسهم كالعادة، ليتبقى في المستعمرة مهندس الاتصالات فقط.

شكرًا لكم وغدًا -إن شاء الله- سأرسل لكم تقريرًا مفصلًا عن مهمتنا بداخل ذلك الكهف المدهش، إلى اللقاء.

انتهى التسجيل مجددًا ليظهر فاصل لعدة ثوان، ويظهر بعدها وجه الدكتور مهند حسن مرة أخرى على الشاشة، وبجانبه ظهر رجل آخر أبيض البشرة، حاد الملامح له لحية شقراء، ورأس صلعاء.

كان يبدو على وجه الدكتور مهند الجدية والاهتمام اليوم وهو يقول: تحياتي لكم أيها السادة، سنحدثكم اليوم بالتفصيل عن اكتشافنا المبهر، لكن بالتأكيد سيكون الدكتور هوزنبرج أكثر دقة

وتفصيلًا مني لهذا سيكون الذي مع حضراتكم اليوم.

تصدر الدكتور هوزنبرج المشهد وهو يتحدث بإنجليزيته الركيكة قائلًا في توتر:

- سأدخل في الموضوع مباشرة. إن اكتشافنا هذا غامض للغاية ومثير جدًا لعدة أسباب:

أولًا: هذا الكهف كان مخفيًا بإحكام ولولا ذوبان الجليد من عليه، لما عثرنا عليه قط ثانيًا: الكهف ووفقًا للقياسات التي قام بها فريقنا، فمدخله ذو أبعاد متساوية، وهو أمر صعب جدًا، إن لم يكن مستحيل حدوثه في الأحوال الطبيعية، بالإضافة إلى أننا وجدنا على جدرانه العديد من الرسومات المدهشة، لقد سجلتها كاميراتنا بمنتهى الحرص، وسأعرضها عليكم الآن.

انتقلت الصورة لتعرض صورًا لعدة رسومات ذات أشكال غريبة، غير مألوفة وألوان زاهية وصوت الدكتور هوزنبرج يصاحبها معلقًا:

- كما يبدو أمامنا أيها السادة في الصور التي أمامنا، فهذه الرسومات غريبة جدًا أنها عبارة عن رسومات لعدد من الحيوانات التي لم نشاهدها من قبل في أي مرجع علمي أو تاريخي.

توقفت الصورة على مجموعة أخرى من الصور، ليعلق عليها الدكتور هوزنبرج مجددًا قائلًا:

- هنا يمكننا مشاهدة عملية توثيق لعملية جراحية بالتفصيل وبأحدث الطرق العلمية كما أخبرتنا طبيبتنا حيث إن الجراحين

يرتدون ملابس شبيهة بملابس رواد الفضاء أو القائمين على الحجر الصحي في زمننا هذا، رغم بدائية ملابس الشخص الذي تُجرى له العملية، ويبدو كما أنهم يحقنونه بشيء ما في جمجمته.

انتقلت الصورة مجددًا لوجه الدكتور هوزنبرج وهو يقول مرة أخرى في توتر:

- ثالثًا: لقد كان الكهف يمتد بعمق ثلاثة أمتار فقط لا غير وجدرانه صخرية ملساء على نحو ملحوظ دون أي نتؤات صخرية، كما أن أرضيته ممهدة للغاية، ولا تحتوي على أي صخور، كل هذا يدعم رأينا بأن هذا الكهف لم ينشأ بشكل طبيعي.

أخيرًا:- وجدنا جمجمة بشرية بدائية مدفونة بالكهف، حجمها أكبر من متوسط الحجم الطبيعي للرأس البشري في وقتنا الحالي، لكنها ذات عظام سود اللون، وتحتوي على ثقب صغير يمكن رؤيته بالعين المجردة في جبين الجمجمة، مما يرجح أنها جمجمة البدائي الذي كانت تجرى له العملية ورسوماته موجودة على الجدران، نحن لا نملك تفسيرًا لتحول لون العظام إلى هذا اللون الأسود الغريب وهي ظاهرة لم نشاهدها من قبل قط.

لتنتقل الصورة على جمجمة متوسطة الحجم موضوعة أمامه ليكمل قائلًا:

- للأسف، نحن لا نمتلك هنا الأجهزة والتكنولوجيا اللازمة لفحصها بشكل أدق، لهذا اتفقنا على إرسالها للمعامل المركزية في المقر الرئيس مع طائرة التوريدات القادمة في نهاية الأسبوع.

أنا على يقين أن هذا الكشف سيحمل لنا العديد والعديد من الأسرار في الأيام القادمة.

شكرًا لكم، وسنوافيكم بمزيد من المعلومات في الأيام القادمة.

اختفت الصورة لبضع ثوان، وتبعه تشويش، ليقول القبطان في حماس:

- يا للهول، يا له من اكتشاف علمي مذهل، لكنهم لم يذكروا حتى الآن إحداثيات هذا الكهف.

قبل أن يلتفت إلى صاحب الخطوات، ويسأله:

- وماذا عن هذه الجمجمة ذات العظام السود ألم تجدوا أي أثر لها وسط متعلقاته؟

هز صاحب الخطوات رأسه بالنفي، وكاد أن يعلق بشيء ما، لكن ظهرت صورة دكتور مهند مجددًا، فأجبرت صاحب الخطوات على التزام الصمت، كان يبدو على وجه الدكتور مهند الإرهاق والتوتر، وتحدث سريعًا:

- نحن الآن في اليوم الرابع، سأتجاوز كل الرسميات والتمهيدات، وسأدخل في الموضوع مباشرة، لقد كانت الطبيبة أول مَن ظهرت عليها الأعراض، طفح جلدي وبثور متقيحة انتشرت في جسمها بالكامل، وبعدها بساعتين حدث لها قيء ونزيف دموي حاد هي الآن في العيادة الطبية، ونحن نحاول إيقاف النزيف وتعويض ما فقدته من دماء بالمحاليل، لكننا جميعًا للأسف لا نمتلك الخبرة الطبية اللازمة، لقد طلبت من مهندس الاتصالات لدينا قبل القدوم

لهنا مباشرة بمحاولة الاتصال بأقرب قمر صناعي لنا وإرسال إشارة استغاثة عاجلة لأقرب مركز طبي أو سفينة تجارية أو أي شخص قادر على التقاطها ومساعدتنا، لكن للأسف فأقرب مكان مأهول بالسكان يبعد عننا بما لا يقل عن ثلاثة مائة كيلو متر، وهذ...

دوى انفجار مدوٍ في التسجيل جعل صورة د/مهند تهتز بعنف، ليظهر على وجهه علامات الفزع وهو يقول في خوف:

- يا إلهي، ما هذا؟ ماذا حدث؟ سأقطع التسجيل الآن، وغدًا سأخبركم بما حدث.

قالها وهو ينهي الاتصال بعنف، لتختفي صورته من على الشاشة.

أشار القبطان لأحد مساعديه لإيقاف التسجيل وهو يقول في توتر:

- ما هذا الكابوس؟ ماذا حدث هناك؟ وما مصير هؤلاء العلماء؟ وما تفسير ما حدث؟

قال صاحب الخطوات وقد أصابه الفزع والتوتر بدوره:

- نحن لا نملك أي معلومات عن هذا الأمر، حتى القاعدة الرئيسة في زيوريخ التي يذكرها باستمرار، نحن لا نملك إحداثيات الاتصال والتواصل معهم.

قال القبطان وهو يهرش في لحيته البيضاء وتبدو على وجهه آيات التفكير: لا أعتقد أنهم في زيوريخ لديهم أي معلومات عما حدث في قاعدتهم بالقطب الشمالي

إن التسجيلات التي نشاهدها الآن هي التي كان من المفترض إرسالها لهم مع طائرة التوريدات، كما ذكر د/ مهند في التسجيلات، وهذا يعني أن هناك كارثة قد حدثت أدت لعدم حدوث هذا.

قال أحد مساعديه بسرعة:

- أرى يا سيدي أن علينا استكمال التسجيلات حتى نُكَوِّن صورة كاملة عما حدث.

أشار القبطان برأسه تأييدًا لرأي مساعده ليقول:

- حسنًا، فلنستكمل التسجيل، أعد تشغيله من فضلك.

ضغط المساعد على زر التشغيل مجددًا ليظهر وجه د/ مهند مجددًا، كانت ذقنه نامية، وأصبح في حالة يُرثى لها، وظهرت علامات سود حول عينيه وهو يتحدث بصوت أقرب إلى الفحيح، ويهمس بفزع وتوتر:

- نحن الآن في اليوم الخامس من بعثتنا، وللأسف نحن على شفا الهاوية لقد قُتِل مهندس اتصالاتنا بالأمس بفعل فاعل، والذي دمر أيضًا جميع أجهزة الاتصال لدينا، لقد فقدنا وسيلة اتصالنا الوحيدة بالعالم الخارجي، ولم يعد أمامنا سوى انتظار وصول طائرة التوريدات في نهاية الأسبوع، يؤسفني أن أخبركم أن طبيبتنا قد توفيَت أيضًا جراء النزيف الدموي الحاد، وبالأمس ظهرت الأعراض المميتة نفسها على الدكتور هوزنبرج ومساعدته وباحث المناخ الأمريكي ستيفن دانكن وباحثة الإنثروبولوجيا الفرنسية ماري جيكوب، ليظهر بعدها عليهم القيء والنزيف الدموي الحاد ليفقدوا

جميعًا حياتهم خلال ساعتين فقط، ولم يتبقَ سواي أنا ومهندس الإلكترونيات الياباني يوشيدا.

ذلك الوغد الحقير يوشيدا هو الذي قتل مهندس الاتصالات، ثم عطل أجهزة اتصالاتنا، لقد سرق أيضًا الجمجمة السوداء التي وجدناها في الكهف، أرى أنه يسعى لبيعها لجهة ما، وأخذ وسيلة انتقالنا الوحيدة ليغادر بها، ذلك اللعين لقد أخبرته أنه لا يمكننا المغادرة ونحن نحمل هذا الوباء المجهول، لا يمكننا المخاطرة بنقله لبقية كوكبنا ونحن لا نعلم مصدره أو وسيلة انتقاله بعد، سأقطع التسجيل الآن لن أتمكن من المكوث هنا، وذلك الوغد ينشر المرض، سأخرج لمطاردته وبإذن الله سأتمكن من إيقافه، إلى اللقاء.

قال القبطان في حزن وقلق واضح:

- يا إلهي، لقد ماتوا جميعًا ذلك الوباء اللعين. التساؤل هنا هل تمكن من اللحاق بذلك الياباني أم لا؟

كان التسجيل ما زال مستمرًا في العمل، لكنه يحمل شاشة سوداء صامتة دون أي تسجيلات أخرى.

فقال القبطان:

- حسنًا، أرى أنه حان وقت الذهاب ورؤية دكتور مهند ومحاولة استخلاص أي معلومات منه و...

قاطع حديث القبطان ظهور صورة شخص ما على شاشة العرض، كانت ملامحه اليابانية تميزه بوضوح، ذو شعر أسود داكن

قصير، ووجهه ممتلئ بالعديد من البثور المتقيحة والطفح الجلدي. اذدرد لعابه في توتر وهو يتحدث بسرعة وبصوت منخفض بإنجليزية جيدة:

- نحن الآن في اليوم السابع، ومن المفترض وصول طائرة التوريدات بعد بضع ساعات من الآن، أنا يوشيدا مهندس الإلكترونيات بفريق مستعمرة القطب الشمالي، لقد حدث كل شيء بسرعة، وتمكن منا جميعًا ذلك الوباء الغامض، لقد ظننت في الأول أن هواء الكهف الملوث السبب في إصابتنا، ولكن بعد التفكير العميق توصلت إلى أن تلك الجمجمة السوداء هي التي تحتوي على هذا الفيروس الذي سبب لنا هذا المرض، الرسومات على جدران الكهف كانت تشرح أن هذا الفيروس حقنه أشخاص ما كان يبدو عليهم التطور في جمجمة ذلك البدائي، ربما كان الأمر جزءًا من تجربة ما، وأتينا نحن، وأخرجنا ذلك الفيروس القاتل الكامن في الجمجمة منذ مئات أو ملايين السنين، لقد تأكدت من الأمر، عندما فحصت جمجمة الطبيبة بعد وفاتها، ووجدتها قد تحولت إلى اللون الأسود بدورها.

جميع من تعامل مع هذه الجمجمة أصيب بالمرض، لكن لم تظهر الأعراض على جميعنا. هل لاحظتم في التسجيلات السابقة أن دكتور مهند الوحيد الذي لم تظهر عليه الأعراض، ذلك الوغد مَن قتل مهندس الاتصالات، وأعد المتفجرات لتنفجر أتوماتيكيًا بعد ذلك ليبعد عنه الشبهات، إنه المريض صفر. أول من أصابته العدوى وحامل للمرض، لكن لا تظهر عليه الأعراض، بل بالعكس

لقد زادت قوته البدنية وقدرته على تحمل الظروف المناخية السيئة، لقد سرقت تلك الجمجمة السوداء، لقد ظن أنني أحاول النجاة بنفسي، لكن كلا، لقد عدت لذلك الكهف مجددًا، ودفنت بداخله تلك الجمجمة السوداء، قبل أن أفجره بالديناميت لتنهار عليه الثلوج، وتغطيه تمامًا، ذلك الكهف وتلك الجمجمة لا بد من أن يظلا مخفين بعيدًا عن البشر لأنهما يحملان لهما الموت كل الموت.

سأنهي هذا التسجيل الآن، سأحاول أن أقتل د/ مهند قبل أن ينشر المرض في كل مكان، وعند وصول طائرة التوريدات في موعدها، سأخفي لهم هذا القرص الصلب في المكان المخصص لهبوطهم داخل صندوق معدني حتى يلتقطوه، وتعلموا كل ما حدث هنا.

انقطع البث لبضع ثوان، قبل أن يعود مجددًا، كان يوشيدا يتلفت حوله رعبًا، ويبدو أنه ينصت لشيء ما، ليسعل بشدة، وتتناثر قطرات دمائه، لكنه تحامل على نفسه وهو يكمل قائلًا:

- من سيقابل مهند، ويتعامل معه، سيكن قد أصيب بالفعل وفي عداد الموتى، سأشعل النيران في المستعمرة بأكملها، سأحرق كل الجثث، لأقضي على كل أثر لهذا الوباء. إن مهند سيحاول النيل مني، قبل أن أنال منه، إنه أقوى مني بكثير، لقد أكسبه هذا الفيرس لسبب ما قوة خارقة ربما يرجع هذا لتركيبه الجيني أو طفرة وراثية يمتلكها في حمضه النووي، إنه متشبث بالحياة ومصر على النجاة، رغم أن نجاته ستكون سبب القضاء على الجميع، أتمنى لكم حظًا أسعد

مننا، وأن تتمكنوا من احتواء هذا الوباء.

قالها قبل أن ينهي التسجيل، ويسود الصمت تمامًا في القاعة كأن كل الحضور على رؤوسهم الطير.

قال القبطان في فزع:

- يا إلهي، نحن نحمل الوباء معنا الآن، هذا يعني أنه تمكن من قتل الياباني والاستيلاء على القرص الصلب، وفر هاربًا قبل وصول طائرة الإمدادات، ماذا سنفعل الآن؟

قال أحد مساعديه:

- ولماذا لا يكون ذلك الياباني كاذبًا وكل كلامه مجرد ادعاء للهروب بالجمجمة السوداء؟

قال القبطان وهو يقطب ما بين حاجبيه مفكرًا:

- لا، لا أظن ذلك، إن كل الأعراض ظهرت عليه، وكان يُحتَضَر بالفعل و....

قطع كلامه وهو ينظر لصاحب الخطوات، ويتراجع بفزع قائلًا:

- يا إلهي، لقد أصابك الوباء بالفعل، إن البقع الحُمر قد ظهرت على وجهك، يا إلهي، إن الوباء قد انتشر بيننا بالفعل.

تراجع صاحب الخطوات بفزع وهو ينظر لنفسه بالمرآة، قبل أن يصرخ في فزع ورعب من هول ما رأى، لقد انتشرت البثور المتقيحة والبقع الحُمر في الجانب الأيمن من وجهه.

صرخ أحد مساعدي القبطان وهو يشير نحوه برعب قائلًا:

- لقد أصابك المرض أنت أيضًا يا سيدي القبطان، إن الطفح الجلدي ينتشر على وجهك، إن الوباء ينتقل بيننا بالفعل.

قال القبطان في حسم كأنه لا يهتم بما أصابه:

- يجب أن نحتجز ذلك الوغد مهند، ونستجوبه لإيجاد علاج لهذا الوباء ومنع انتشاره.

خرج القبطان من حجرة القيادة وهو يعدو نحو العيادة حيث يرقد د/ مهند، لم يكادوا يدخلوا إليها حتى وجدوا الطبيب في حالة إعياء تام، ويلفظ أنفاسه الأخيرة والقيء الدموي يحيط به، ويغرق ملابسه، ولا يوجد أدنى أثر للدكتور مهند.

صرخ القبطان في غضب:

- أين ذهب ذلك اللعين؟ أين هو؟

دخل عليه أحد بحارة السفينة وهو يقول في خوف وقد بدأت تظهر على وجهه علامات الطفح الجلدي:

- جميع البحارة على متن السفينة مصابون بالطفح الجلدي والقيء والنزيف الدموي، سنموت جميعًا، لن يبقى أحد حيًا.

قال القبطان في غضب وهو لا يهتم سوى بشيء واحد:

- وأين ذلك الوغد؟ هل رآه أحدكم؟ يجب علينا أن نقتله الآن؟

دوى صوت انفجار عنيف مدوٍ، وسمع القبطان صوت البحارة وهم يصرخون: حريق. حريق في حجرة الاتصالات.

قال القبطان في غضب:

- إنه ذلك الوغد، إنه يفقدنا وسائل اتصالاتنا حتى لا نبلغ العالم عن الفيروس القاتل الذي يحمله بداخل جسمه، لكن ما زال لدينا هذه التسجيلات هي التي تثبت مصدر هذا الوباء وأن ذلك اللعين حامل المرض.

تحرك القبطان سريعًا، وأخذ يعدو عبر ممرات السفينة حتى وصل لحجرة القيادة ليصرخ في غضب:

- ذلك الوغد انتصر علينا مجددًا، لقد سرق القرص الصلب واختفى.

قال أحد البحارة وهو يسعل:

- سيدي، علينا طلب النجدة، سنموت جميعًا هكذا.

قال له القبطان وهو يشد قامته في اعتداد:

أطلقوا الإشارات الضوئية التحذيرية، إن أقرب سفينة لنا على بُعد مائتي ميل بحري، وسيستغرقها الوصول لنا على الأقل من أربع لخمس ساعات، فلا داعي للتعلق بالأمل الزائف، نحن بحارة مهنتنا تعتمد على الشجاعة والشرف، فإذا كان كُتِب علينا الموت، فلنواجهه بشجاعة، ونحاول أن نحتوي هذا الوباء القاتل حتى لا ينتقل من هنا لعائلاتنا ولبقية العالم.

وأخذت السفينة تبتعد

وتبتعد

في أعماق المحيط.

######

بعد مضي أسبوعين.

مطار القاهرة الدولي.

التوتر منتشر في الأجواء، التحذيرات تنطلق عبر مكبرات الصوت بمراعاة إجراءات التباعد الاجتماعي والسلامة الصحية لتجنب ذلك الوباء التنفسي القاتل، أطباء الحجر الصحي يعملون بأقصى طاقتهم.

آلاف المسافرين المحتجزين بداخل المطار غير قادرين على مغادرته نظرًا لإجراءات الحظر الجوي وإلغاء رحلات الطيران تبعًا لتعليمات منظمة الصحة العالمية التي أطلقت إنذارًا من المستوى الخامس لمواجهة تفشي ذلك الوباء المميت الذي ظهر على متن باخرة تجارية بالقرب من القطب الشمالي، وقتل كل البحارة على متنها، وانتقل منها لكل من دخل إليها في محاولة لفحصهم وعزل المرض ومنهم لبقية أنحاء العالم، ورغم محاولات السلطات المستميتة للسيطرة عليه واكتشاف المسبب المرضي له، فإنهم لم يتمكنوا من ذلك.

كان هناك على مقربة شخص نحيف، متوسط القامة، يرتدي منظارًا طبيًا يقف أمام موظفي الحجر الصحي بهدوء وهم يفحصونه بدقة، ويأخذون عينات من لعابه للتأكد من سلامته، قبل أن يسمحوا له بالدخول.

كان يمشي بهدوء وثقة، رغم الذعر والخوف المنتشرين حوله.

ولم يكن هذا الشخص سوى د/ مهند.

المصاب صفر الذي ينتقل من بلد لآخر، وينشر معه الفيروس المميت.

ومن خلفه يتساقط المصابون

والقتلى.

######

الكابوس الخامس

عهد الدم

هذا وقد أعلن كاتب الرعب الأشهر في السنوات العشر الأخيرة والذي احتلت رواياته السبع الأخيرة قائمة الأكثر مبيعًا، وقد حاز على جائزة البوكر ثلاث مرات عن سلسلة رواياته الأكثر رعبًا الكابوس والذي تحولت لفيلم سينمائي السنة الماضية بالفعل، وفي تصريحات خاصة لجريدتنا، صرح كاتب الرعب الأبرز سيف الشرقاوي أنه قد قرر التوقف عن كتابة هذه السلسلة، وإن هذا قرار نهائي لا رجعة فيه، وأنه سيبتعد عن كتابة أدب المراهقين، وسيكتب في الفترة القادمة روايات أكثر نضجًا وواقعية، وأننا سننتظر روايته القادمة قريبًا والتي ستكون أفضل ما كتب.

طوى سيف الشرقاوي الجريدة، قبل أن يضعها بجواره في الكنبة الخلفية للسيارة الليموزين الفاخرة التي تقله للموعد الذي طال انتظاره، فمنذ أكثر من عشر سنوات وهو لم يقابل أصدقاء مراهقته وشبابه. تعجب كثيرًا، عندما وصلت دعوتهم إليه لحضور هذا الحفل مساءً، أطلقوا عليه حفل لم الشمل وإعادة الذكريات. قال في نفسه لِمَ لا؟ إنه الآن يمر بمرحلة جديدة في حياته، أخيرًا تخلص من تلك الكوابيس التي كانت تطارده في نومه، وعليه أن يستمتع بكل لحظة فيها، قبل أن يعاود الكتابة مجددًا.

وصل في الموعد المحدد ليجد في انتظاره صديقه جراح القلب الشهير علاء إسماعيل، كان الحفل من المفترض به أن يقام في منزل والده حيثما كانوا يجتمعون في مراهقتهم، بمجرد دخوله، كان في انتظاره زميلتهم الثالثة وزوجة زميلهم علاء الآن وقد ازدادت شبابًا وجمالًا، حتى أنه استغرق بضع لحظات للتعرف إليها، قال بانبهار:

- يا إلهي سالي إبراهيم، لا يمكنني أن أصدق هذا لقد أزدتِ جمالًا فوق جمال، يبدو كأنك لم تكبري يومًا واحدًا.

ضحكت سالي في دلال وهي تغمز بعينها اليسرى:

- كل ذلك بفضل العهد.

نظر لها سيف باستغراب بضع لحظات، قبل أن يقول باستفسار:

- ماذا تعنين؟ ما هذا العهد؟

ضحك علاء وهو يقول بلكنة من يعلم بواطن الأمور:

- لا داعي للإنكار يا سيف، كلنا كنا هناك تلك الليلة، وكلنا نعلم ما حدث.

قطب سيف ما بين حاجبيه في استنكار وتعجب، وهم أن يقول شيئًا ما، لكن قاطعه صوت أتى من خلفه. علم على الفور صاحب هذا الصوت أنه صديقهم الرابع حازم صلاح الدين الساحر الشهير الذي قال في مرح كعادته:

- يا إلهي، لا أصدق أننا تجمعنا من جديد، لم أصدق نفسي، عندما أرسل إلي علاء هذه الدعوة للانضمام إليكم هنا.

التفت إليه د/علاء وهو ينظر له باستغراب ويقول:

- أي دعوة تقصد؟ إنني لم أرسل دعوة إلى أي شخص.

قال حازم في مرح:

- علاء أخي العزيز لقد لبينا هذه الدعوة ونحن سعداء بها حقًا،

لا داعي للمزاح.

قال له د/علاء مجددًا:

- أنا لم أرسل أي دعوة إلى أي شخص، أنا لا أمزح.

فقال له سيف وهو يدس يده في جيب سترته، ليخرج ذلك الكارت الأسود المرسوم عليه من أحد جانبيه قلب أحمر دامٍ تتساقط منه قطرات من الدماء، ومن على الجانب الآخر، كتب سطرين من الكلمات بخط منمق قرأها بصوته المميز:

- أتشرف أنا د/ علاء إسماعيل لدعوتكم جميعًا إلى الاجتماع مجددًا في منزل والدي القديم في حي مصر الجديدة، كما اعتدنا دومًا الساعة الثامنة مساءً يوم الخميس القادم.. حتى أنني ظننت أنك اخترت اللون الأسود لأنه لونك المفضل، ورسم القلب الدامي دعابة ثقيلة من دعاباتك لأنك جراح قلب.

التقط علاء الكارت من يده في سرعة وهو يقول في استنكار:

- أنا لم أرسل هذا قط.

أخرج حازم أيضًا كارت مماثل لكارت سيف وناوله بدوره لعلاء ووجهه تبدو عليه علامات البلاهة ليقول:

- إذا لم تكن من أرسلته، من سيكون الذي أرسله؟

أخرج علاء كارت هو الآخر من جيب سترته وهو يناوله لسيف:

- سيف هو الذي أرسل هذه الدعوة لي، وطلب مني أن نجتمع جميعًا في هذا اليوم المحدد مصحوبًا برجاء منه أن يكون مكان الاجتماع حيثما كنا نجتمع دومًا في منزل والدي، وأكد أن يبقى هذا

سرًا بيننا، ولا أخبر أي أحد. حتى إن ظهر الكارت عليه الغلاف المميز لسلسلته الكابوس.

قال سيف في غضب وثورة:

- ما هذا الهراء. أنا لم أرسل أي شيء.

قاطعه صوت قوٍ أتى من خلفه يقول في حزم:

- لقد أرسلت لي البطاقة نفسها يا سيف.

التفت سيف لصاحب الصوت ليجد العقيد ماجد الحسيني صديقهم الخامس والأخير قد وصل، انقض عليه حازم بحماس ليحتضنه بقوة وهو يقول بلهجته المرحة المعتادة:

- يا مرحبًا بأفضل ظابط في مصر، صورك تنير الجرائد أسبوعيًا، الجرائم التي تحقق فيها تكلل كلها بالنجاح، لا يوجد مجرم يستطيع الهروب أو الاختباء منك.

شد ماجد قامته في اعتداد وهو يقول في حزم:

- إنها مهنتي التي أعشقها وواجبي الذي أؤديه، لكن فلنركز في موضوعنا، من الذي أرسل لنا هذه الدعوات، إذا لم يكن أحدكما.

فقال حازم في خوف وتوتر:

- هل أخل أحدكم بعهد الدم؟

قال سيف غاضبًا:

- أي عهد؟ ما هذا العهد الذي تتحدثون عنه منذ وصولي؟

قالت سالي في خوف:

- كيف لا تتذكر يا سيف؟ كيف لا تتذكر تلك الليلة وعهد الدم الذي قطعناه منذ عشر سنوات؟ هل توقفت كوابيسك التي كانت تؤرق نومك؟ أنا عن نفسي لقد توقفت عن تنفيذ جزئي من العهد منذ أكثر من عامين ولم يحدث شيء. وماذا عنكم؟

فقال ماجد بصوته القوي وفي ثقة:

- بالتأكيد إنني لم أصدق هذا الهراء يومًا، لقد كان مجرد تحدٍ سخيف بين مجموعة من المراهقين، بل أكاد أجزم أنها كانت مجرد مقلب غبٍ من مقالب صديقنا حازم خصوصًا أنه كان يهوى الخدع السحرية منذ طفولته، فلم أنفذ هذا العهد السخيف يومًا، ولم أرق قطرة من دم بريء.

قال حازم مدافعًا عن موقفه في غضب:

- إنها لم تكن مزحة، كل ما حدث تلك الليلة كان حقيقيًا وكلكم وافقتم عليه.

قال سيف:

- لماذا إذًا لا أتذكر أي شيء عن تلك الليلة وذلك العهد؟

قالت سالي وهي تقطب ما بين حاجبيها الجميلين:

- أظن أنها آلية دفاعية من عقلك لحمايتك أحداث تلك الليلة، لكنك بعدها بدأت ترى تلك الكوابيس بأحداثها المرعبة، وبدأت في كتابتها في رواياتك وسلسلتك الكابوس، هذا ما أخبرتني به منذ بضعة أعوام، إذًا فأنت تنفذ الجزء الخاص بك من العهد، ماذا عنكما

يا حازم أنت وعلاء؟

وقبل أن يرد أحدهما على تساؤلها، فجأة انقطع التيار الكهربائي عن المنزل بأكمله ليغرق الجميع في ظلام حالك.

صرخت سالي في فزع:

- يا إلهي، إنه قادم للانتقام منا.

أشعل ماجد قداحته في سرعة ليبدد الظلام قليلًا، بينما أشعل سيف وعلاء إضاءة هواتفهم المحمولة، وعلاء يقول في غضب:

- أيها الأغبياء، كيف توقفتم عن تنفيذ جزئكم من عهد الدم، هل أنا الوحيد الذي ما زلت أنفذه حتى الآن؟

فجأة اشتعلت النيران في عدد من الشموع السود الموزعة بانتظام والتي ظهرت من العدم، لتنطلق فجأة ضحكات مخيفة كأنها قادمة من أعماق قبر سحيق، كانت الضحكات قادمة من حنجرة حازم الذي كان قد ارتفع مترين على الأقل عن الأرض، وتراجعت رأسه للخلف على نحو مخيف زادتها الظلال المنعكسة عليه رعبًا، لتصرخ سالي صرخة واحدة قصيرة، وتهوى فاقدة الوعي، حاول علاء أن يهرع نحوها، لكن قوة خارقة عن المألوف منعته، وثبتته في مكانه، ليقول حازم بصوته المخيف القادم من أعماق بئر سحيقة:

- كنتم خمسة في العهد.

عهد الدم والنار.

أشعلتوا الشموع السود الملعونة، وسفكتوا الدماء النقية،

واستدعيتوا الساحر الأسود من غياهب الزمان.

استدعيتوا روحي السوداء لتلبية رغباتكم.

وكان بيننا العهد.

عهد الدم.

في تلك الليلة منذ عشر سنوات، عندما اجتمعتم أنتم الخمسة، واستدعيتوني لأول مرة.

كانت هذه المرة الأولى التي يُستَدعى فيها الساحر الأسود منذ مئات السنين.

ذلك الأحمق حازم، كان يحلم بأن يصبح ساحرًا، لهذا عندما عُثِر على تلك المخطوطة في وسط مقتنيات جده بعد وفاته، وقرأ فيها اسمي وطريقة استدعائي، قرر أن ينفذها فورًا.

لكن قوانين العهد كانت واضحة لا بد من خمسة أشخاص تمتزج دماؤهم معًا لتحقيق عهد الدم، لذلك اجتمع بكم، وأخبركم بما ينتويه، كنتم جميعًا شبان في مقتبل العمر، تملأ نفوسكم العديد من الأحلام والطموحات، تحمستم جميعًا للأمر، وقررتم الاجتماع في منزل والدي علاء، أحضرتم كل ما يلزم لاستدعائي من شموع سود، وقبلتوا التضحية بدمائكم.

عندما قمتم باستدعائي، وجدت مجموعة من الشباب السذج بانتظاري، قصصتم على مسامعي أحلامكم وطموحاتكم، وتلويت عليكم قوانين عهد الدم، وقبلتوا بها، ووقعتوا عليها بدمائكم النقية آنذاك.

نفذت جزئي من العهد، وحققت لكم كل أحلامكم.

لكنكم لم تلتزموا بعهد الدم.

يبدو أنكم ظننتم أنها مزحة، وأنكم حققتم ما حققتم خلال السنوات الماضية بمجهودكم الشخصي.

كان على أحدكم ذكر اسمي وسط الناس، يكتب عني باستمرار ليعلم الجميع اسم الساحر الأسود العظيم الذي اندثر قصدًا من التاريخ، ليعلم الجميع من أنا.

وكان عهدي له أن أجعله أشهر كاتب في البلاد، زرته في أحلامه، وقصصت عليه أحداث حياتي، ليكتبها وينسبها لنفسه. فلماذا أخل بعهد الدم، وأخذ يبحث عن علاج لوقف زياراتي له في أحلامه؟ وتوقف عن الكتابة.

كان على ثانيكم أن يحضر لي عشرة قلوب بشرية قرابينًا عشرة قلوب بعشر حيوات، ليمنحني القلب الأسود الذي أصبو إليه.

وكان عهدي له أن أجعله أمهر جراح قلب في البلاد، فلماذا أخل بعهد الدم وخدعني وأحضر لي القلوب المريضة؟

كان على ثالثكم أن تحضر لي خمس من العذارى، وتذبحها لتسيل دماؤها أسفل قدميّ لتمنحني الدماء التي تعيد لي قوتي من جديد.

وكان عهدي لها أن أمنحها الشباب والجمال الدائم. فلماذا أخلت بعهد الدم؟ ولم تحضر لي سوى العجائز الشمطاوات.

كان على رابعكم أن يقتل خمسة من الأبرياء، ليموتوا مظلومين،

وتدنس سمعتهم، وينتشر الظلم، ليمنحني الشر الذي أبغاه.

وكان عهدي له أن أمنحه السلطة والشجاعة فلماذا أخل بعهد الدم؟ وأنقذ الأبرياء ونشر العدل.

كان على خامسكم أن يسحر ويقامر ويدفع الناس لاتباع أفعاله، ليضيعوا ثرواتهم وشبابهم في الملذات الفاسدة.

وكان عهدي له أن أمنحه جزءًا من سحري العظيم، فلماذا أخل بعهد الدم؟ وطمع في المزيد واستدعاني من جديد.

لقد أصبحت ضعيفًا، عندما نكثتم ببنودكم في عهد الدم، وفقدت مكانتي في عالم الظلام، لكني كنت ملزمًا بتنفيذ جزئي من عهد الدم وإلا سأحرق ويضيع إرثي واسمي في عالم الظلام للأبد. حتى أتى ذلك الأحمق المدعو حازم، لقد كان عهد الدم ملزمًا بيننا لعشر سنوات فقط، بعدها ستفقدون كل ما اكتسبتوه، وكان حازم الوحيد منكم الذي يعلم بهذا، كان أولكم سيف الذي توقفت عن زيارته في الأحلام، ولم يعد باستطاعته الكتابة وثانيكم حازم الذي بدأت قدراته السحرية تخفت وتختفي، لم يستطع أن يتقبل فكرة فقدان قدراته السحرية التي منحته إياها، كان يريد المزيد والمزيد، لهذا استدعاني مجددًا، هذه المرة لوحده استغل البقية الباقية من قدراته السحرية التي منحته إياها، لم يكن يعلم أنه منحني فرصة أخرى وأخيرة للنجاة بنفسي والانتقام منكم، لأنكم نكثتم بعهد الدم.

أقنعته بأن يخدعكم ويدعوكم للاجتماع هنا مجددًا. حيث بدء كل شيء، حيث وقعتم على عهد الدم وحيثما جرأتم على الإخلال

به.

أقنعته أن يسمح لي بالدخول بجسده لمنحه قدراتي السحرية اللامحدودة.

ليصبح هو الساحر الأسود العظيم.

وها أنا الآن.

هل ظننتم أنني غير قادر على إيذائكم، هل ظننتم أنني لن أستطيع الحصول على حيواتكم وتنفيذ عقوبة أن تنكثوا بعهد الدم.

فلتشاهدوا الآن. فليشهد الجميع على من يكون الساحر الأسود.

شاهدوني يا ملوك عالم الظلام. فلتطربوا وتسعدوا، فاليوم سترون انتقام الساحر الأسود من هؤلاء البشريين.

قالها وهو يثني قدم حازم في وضع مستحيل فيزيائيًا، ليسمعوا صوت عظامه وهي تتحطم، قبل أن يثني ظهره، ليحطم عموده الفقري بقرقعة مسموعة مخيفة، يقشعر لها الأبدان، ويدير عنقه الذي تحطم وهوى ساقطًا على صدره، ليهوى بعدها جسده أرضًا كجثة بالية، ليخرج من فمه ضباب أسود مخيف تسرب سريعًا لجسد سالي التي كانت فاقدة الوعي، لينتفض جسدها بعنف، وتصرخ في ألم، ويظهر في وجهها ملايين التجاعيد، ويتساقط شعرها الذهبي الطويل، وينحني جسدها الممشوق، ويضمر لتتحول في ظرف دقيقة لهيكل عظمي مخيف.

قبل أن يحل الضباب الأسود في جسد علاء الذي انتفض في

عنف، وصرخ رعبًا وهو يحاول أن يتماسك، قبل أن يتصبب عرقًا وهو يمسك صدره الذي اعتصره الألم كأن أحدهم يهوى بمطرقة عملاقة على صدره، ويهوى على ركبتيه وهو يحاول أن يفك ربطة عنقه ليلتقط أنفاسه، كان يبدو كأنه يصارع عدوًا وهميًا، قبل أن يزرق وجهه، ويهوى جثة هامدة وأسمى علامات الرعب مرسومة على ملامحه، ورغوة بيضاء تسيل من بين شفتيه وفي عينيه نظرة رعب متحجرة.

خرج الضباب الأسود من فمه لينتقل لجسد ماجد الذي تجمد للحظات، قبل أن يستل مسدسه، ويصوبه نحو رأسه، صرخ سيف في رعب، حاول جاهدًا أن يتحرك ويمنعه، لكن كانت هناك قوة عاتية تمنعه هذا، ليطلق ماجد رصاصة من مسدسه الرسمي، لتستقر في جمجمته، ليهوى كبالون فارغ والدم ينساب من ثقب في صدغه الأيمن.

وأخيرًا استقر الضباب الأسود في جسد سيف الشرقاوي، ليسيطر على جسده وهو يقول له بداخل عقله:

- هذا عقاب من ينكث بعهد الدم، من يظن أن الساحر الأسود غير قادر على تحقيق عدالته والأخذ بثأره وتنفيذ وعيده.

كلكم دفعتم الثمن الذي تستحقوه، لقد بعتوا أنفسكم لي، وأصبحت أجسادكم ملكًا لي بحق عهد الدم، أما أنت، فلي لك مخطط آخر، سيكون جسدك جسد الساحر الأسود خلال السنوات القادمة.

ستظل تكتب، وتكتب عني حتى يعلم القاصي والداني من أنا، ومن أكون، وما أستطيع فعله؟

كل ما ستكتبه بيديك سأنفذه بسحري، من سيموت في رواياتك، سيمت في الواقع، من يؤذي في رواياتك، سيؤذَ في الواقع، كل أفكاري المريضة التي سأمليها عليك ستتحول لحقائق، هذه لعنتي.

قالها قبل أن يطرقع سيفًا بإصبعيه السبابة والإبهام، لتشتعل أنوار المنزل مجددًا، وينتفض جسد سيف الذي كان يتصبب عرقًا كأنه كان يعدو ألف ميل، فالتقط منديلًا ورقيًا مسح به قطرات عرقه الباردة، قبل أن يتحرك بخطوات رتيبة ليغادر المنزل، ويركب السيارة التي أقلته، وكانت بانتظاره أمام المنزل التي انطلق بها سائقها، وأخذت تبتعد وتبتعد.

وبداخلها سيف الشرقاوي أو بمعنى أدق الساحر الأسود.

ومن خلفه اشتعلت النيران في المنزل

التي أتت على كل ما فيه ومن فيه.

ليتحول لكومة من الرماد.

ويستمر العهد.

عهد الدم.

تمت

######

فهرس

الإهداء.....٥

الكابوس الأول القضية.....٩

الكابوس الثاني ليلة العرافة.....٣٣

الكابوس الثالث اللعبة.....٨١

الكابوس الرابع الجمجمة السوداء.....٩٣

الكابوس الخامس عهد الدم.....١١١